

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة



الرقم التسلسلي :

كلية : الآداب واللغات

رقم التسجيل : م أ ع / 016 / 2014

قسم : اللغة والأدب العربي

جماليات الشعر المهجري إيليا أبو ماضي أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان : لغة وأدب عربي - فرع : أدب عربي - تخصص : أدب عربي حديث

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبة :

أحمد لعويجي

- أعضاء لجنة المناقشة

الربح جفابة

- د : عز الدين عماري ... رئيسا

- د : أحمد لعويجي ... مشرفا ومقررا

- د : الربيع بوجلال ... ممتحنا

السنة الجامعية : 2016/2015

شكر وتقدير

قال تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم) > سورة إبراهيم الآية 7 <

أشكر الله العلي العظيم شكر الشاكرين وأحمده حمد الحامدين على نعمته وفضله وتوفيقه لي بإتمام هذا العمل .. وما توفيقى إلا بالله وأتقدم بالشكر الجزيل وكامل العرفان إلى أستاذي الفاضل المشرف : أحمد لعويجي، الذي تابع تفاصيل هذا العمل من بدايته حتى نهايته، وعلى نصائحه القيمة وتوجيهاته، وإن ذكرته الآن فأنا أعلم أنني لن أفية حقه فأترك جزاءه لله تعالى يجازيه به يوم القيامة خير الجزاء .

كما أقدم شكري وامتناني إلى كل من ساعدني أو شجعني على إنجاز هذا العمل وأتقدم بعبارات الشكر والعرفان إلى مكتبة الشروق بأولاد دراج على وجه الخصوص الأخ (النذير سعيد) على مجهوداته في إخراج هذا البحث على أحسن وجه، وكذا أتقدم بشكري إلى الأخ الطاهر منالله، وإلى كل الأصدقاء والزملاء

فلهم منّي جميعاً كل التقدير والعرفان

الحمد لله حمدا يليق بعظمته وجلاله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين وبعد :

شهدت النهضة الأدبية العربية الحديثة قيام مدارس أدبية كبرى، كان لها الفضل في تطور الأدب العربي الحديث، وذلك بما حملته من موضوعات ودعوات تجديدية. على غرار مدرسة المهجر التي أفادت الأدب العربي بما جادت به قرائح أدباءها وشعراءها من نثر وشعر على الرغم من نشأتها في بيئة تختلف عن البيئات التي نشأ فيها غالبية الآداب العربية الأخرى .

وبناء على التطور الذي مر عليه الأدب العربي في عصر النهضة فإن الاتجاهات والتيارات الجديدة تعددت في الشعر العربي الحديث فكان شعر مدرسة المهجر أحد هذه الاتجاهات، وقد تألق شعراؤها في هذا الميدان، ولعبوا دورا تجديديا بارزا في النهضة الشعرية التي عرفها العالم العربي مطلع القرن العشرين .

فالشعر المهجري ظاهرة فنية جمالية، لما يحمله من روح إنسانية ومعاني سامية وحرصا منّي على إبراز جوانب ومضامين هذه الظاهرة في المهجر، ارتأيت أن أعرض هذه الدراسة الموسومة بـ : " جماليات الشعر المهجري إيليا أبو ماضي أنموذجا "، لما لهذه الدراسة من أهمية بالغة، بما تتركه من أثر قوي يستهوي القارئ أو المتلقي، وهذا مادفعني إلى اختيار هذا الموضوع، بالإضافة إلى أسباب أخرى هي :

- الميل الشخصي لهذا النوع من الدراسات الشعرية؛
- أهمية هذه الظاهرة الفنية وثراءها العلمي والمعرفي؛
- الرغبة في إبراز الأبعاد الجمالية للشعر المهجري وكشف أسرارها؛

- اخترت الشاعر المهجري " إيليا أبو ماضي " أنموذجا لهذه الدراسة لأنه أغزر شعراء المهجر شعرا، ولما حفل به شعره من نزعة إنسانية وتأملية وجمال وحكمة تخدم موضوعي .

ومن خلال هذه الدراسة حاولت الإجابة عن بعض التساؤلات والتي تشكل جوهر إشكالية هذا البحث :

- ما هي الأسباب والخلفيات التي أسهمت في بروز الشعر المهجري ؟
- وما التجديد الذي أضافه الشعر المهجري للشعر العربي ؟
- وما هي الأبعاد الجمالية لهذه الظاهرة الفنية ؟ وكيف تجلت هذه الجماليات في شعر إيليا أبو ماضي ؟ وما مدى تأثيرها على المتلقي ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها اعتمدت على المنهج الوصفي، كونه المنهج الأنسب لما يتضمنه من ملاحظة واستنباط واستقراء، كما اعتمدت في ذلك على خطة سار وفقها البحث تمثلت في :

- مقدمة : تناولت أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وبنية البحث
- الفصل الأول : الفصل النظري بعنوان: (الأدب المهجري وخصائصه) تناولت فيه عنصرين:

أولاً: ظروف نشأة الأدب المهجري ، واتجاهاته ، والعوامل المؤثرة فيه.

ثانيا : الشعر المهجري وخصائصه، ومظاهر التجديد والتقليد فيه، ثم التجربة الشعرية عند إيليا أبي ماضي .

- الفصل الثاني : كان فصلا تطبيقيا بعنوان: (تجليات الجمالية في شعر إيليا أبي ماضي)، خصصته للحديث عن الجمالية وعلم الجمال، وانقسم إلى عنصرين:

أولاً: مصادر الجمالية في شعر أبي ماضي، وتنقسم إلى مصادر لغوية، ومصادر شخصية من خلال ذات المبدع .

ثانياً : آثار التلقي الجمالية في شعر أبي ماضي من خلال ذات المتلقي.

وختمت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة ثم ذيلت ذلك كله بقائمة للمصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

وقد حظي الشعر المهجري بدراسات سابقة، أوضحت معالم بحثي هذا، حيث أنها تناولت الشعر المهجري بمختلف جوانبه ومعظم شعرائه، من بينها دراسة (محمد الأمين شيخة) المسومة ب:(التشكيل الأسلوبي في الشعر المهجري الحديث)؛ والتي درست الجانب الأسلوبي في الشعر المهجري لمختلف شعرائه، غير أنّ دراستي تناولت الجانب الجمالي للشعر المهجري، وخصصت لذلك شعر الشاعر المهجري(إيليا أبي ماضي)، واعتمدت لإنجاز هذا البحث على مراجع متعددة ساعدتني على ضبط خطته وكذا على تجميع ما تيسر من المعلومات في هذا المجال أهمها كتاب (عيسى الناعوري ، أدب المهجر) ، و(كتاب شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي) دراسة سيكولوجية في التذوق الفني و (ديوان أبي ماضي) (دراسة عن أبي ماضي شاعر المهجر الأكبر لزهير ميزرا) .

وقد واجهتني في هذه الدراسة جملة من الصعوبات من بينها :

- صعوبة التوفيق بين مضامين المراجع الكثيرة المختلفة والمتشابهة من حيث المضمون.
- صعوبة الحصول على الدواوين الشعرية لإيليا أبي ماضي.
- صعوبة انتقاء نماذج شعرية مناسبة لتدعيم الآراء والحكم الجمالي نظراً لكثرتها ولتفاوت معطياتها.

ولكن بفضل الله وتوفيقه وبمعية المشرف، استطعت التغلب عليها إصرارا منّي على إتمام هذا البحث وهذه الدراسة المتواضعة .

وفي هذا المقام لا يفوتني أن أتقدّم بعبارات الشكر والتقدير والعرفان للأستاذ المشرف : **أحمد لعويجي** على رحابة صدره ومجهوداته الجبارة، وتوجيهاته لي والنصائح القيمة التي أثار بها دربي، راجية من المولى عزّ وجلّ أن يجعلها في ميزان حسناته وأسأل الله أن أكون قد وفّقت في تناول هذا الموضوع " وما التوفيق إلا بالله "

أولاً: ظروف نشأة الأدب المهجري واتجاهاته

عرفت النهضة الأدبية الحديثة ظهور عدة مدارس أسهمت في تطور الأدب الحديث، بما حملته من لواء التجديد، ومن هذه المدارس مدرسة الديوان، مدرسة أبو لو، ومدرسة المهجر، هذه الأخيرة احتلت مكانة مرموقة في تاريخ الأدب العربي عموماً والأدب الحديث على وجه الخصوص .

وقبل الخوض في غمار الموضوع ارتأيت أن أعرج إلى مفهوم المهجر، حيث ورد في العديد من الكتب والمعاجم ومن ذلك :

جاء في المعجم الوجيز: « هجر : هجرا ، تباعد، والشئ أو الشخص هجرا وهجرانا : تركه وأعرض عنه، وهاجر : ترك وطنه، ومن مكان كذا أو عنه : تركه وخرج منه إلى غيره»¹. فالهجر معناه : الترك والإعراض والتباعد، والهجرة ترك الوطن .

وجاء في المعجم الوسيط:«الهجرة : الخروج من أرض إلى أخرى، وانتقال الأفراد من مكان إلى آخر سعياً وراء الزرق، والمهاجر : الذي هاجر، والمهاجر : موضع المهاجرة، المهاجرة : الهجرة، والمهجر : المكان يهاجر إليه أو منه »² .

فالمهجر حسب المعجم الوسيط : المكان الذي يهاجر منه أو إليه، والخروج من أرض إلى أخرى قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجُزُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾³ .

من خلال ما سبق نستطيع القول أن كلمة المهجر مشتقة من الهجرة أو المهاجرة بمعنى الخروج من أرض إلى أخرى، والمهجر معناه : مكان الهجرة .

¹—المعجم الوجيز (الميسر) ، ط1 ، الكويت : 1993 م ، دار الكتاب الحديث ، باب الهاء ، مادة (هجر)

²—المعجم الوسيط ، ط4 ، 2004 ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث ، مكتبة

الشروق الدولية ، باب الهاء ، مادة (هجر)

³—سورة النحل الآية (41)

ويطلق أدب المهجر على الأدب الذي انشأه العرب الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية والجنوبية وكونوا فيها جاليات عربية، وروابط أدبية أخرجت صحفا ومجلات تهتم بشؤونهم وأدبهم .

1-بواعث الهجرة

إنّ الباحث في ظاهرة الأدب المهجري، يجد نفسه ملزما بالتعرف على البواعث التي أدت إلى هجرة أصحابه إلى الأمريكيتين، والأسباب والدوافع التي دعتهن إلى ترك أوطانهم وعائلاتهم، والظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية التي دعتهن إلى الهجرة، ومن جملة العوامل التي دعت الأدباء إلى الهجرة ما يلي :

أ-الباعث السياسي :

ظلّ الشرق خاضعا للحكم العثماني أمدا طويلا، وكان الحال في الشام وسوريا ولبنان أسوء من غيره في باقي البلاد العربية، « حيث كانت الخلافة العثمانية في اواخر عهدها وكان نفر من حكامها المتغترسين، من جماعة التتريك هم من أصل يهودي يتجبرون على الناس ويسوسونهم بالظلم والتسلط، مما دفع بالكثير من السوريين واللبنانيين إلى الهجرة صوب العالم الجديد، نشدانا للحرية المزعومة وفرارا من الظلم والجور والطغيان السياسي»¹، أي أن سبب الهجرة يعود إلى الهروب من ظلم وجور الخلافة العثمانية طلبا للحرية ويجمع مؤرخوا القرن التاسع عشر على أن الاستبداد العثماني قد استقل بشكل كبير ومع تدهور الحياة السياسية، «فقد اعتاد العثمانيون تقسيم امبراطوريتهم إلى ولايات لكل منها وال يهيمن على شؤون الحكم، وكان هؤلاء الولاة في الغالب على درجة كبيرة من القسوة، ولا يلتفتون إلى مصالح الشعب، ويسلّطون الجوايس حتى أصبحت السياسة السائدة تقتيت الوحدة الوطنية

¹—محمد أحمد ربيع ، في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ط2 ، عمان : 2006 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ص 48 .

وتأليب أصحاب الطوائف الدينية كي يضمن الوالي عدم مراجعته في أفعاله، فيضمن بقاء سلطانه إلى أكبر مدى»¹، وقد ظلّ هذا الحال في الشام -سوريا ولبنان وفلسطين - طيلة الحكم العثماني، إلّا أنّه ازداد سوءاً نتيجة لتحالف الدول الأوروبية على الدولة العثمانية من جهة، وازدياد نفوذ بعض الولاة من ناحية أخرى حتى حاول بعضهم أن يستقل بولايته ويتوسع فيها على حساب الولايات المجاورة، وعلى هذا النحو أصبحت السياسة نزاعاً مستمراً بين الأمراء .

وثمة دافع سياسي كان له أثره في الهجرة اللبنانية إلى الخارج يذكره الأستاذ محمد يوسف نجم، وهذا الدافع هو « ضغط حكومة الآستانة على رعاياها، ولا سيما غير المسلمين منهم، والسبب في ذلك أنّها بضعفها وتهالكها آونة ذاك كانت تخشى كل حركة تحريرية تبدر بوادرها بين الشعب ويحاول خنقها في المهد، لذلك كانت تأخذ بالشبهة وتجرم البريء لأضعف الشكوك، مما جعلهم يحاولون زحزحة عبء هذا الضغط عن كواهلهم بالمهاجرة إما إلى مصر، حيث مجال العمل أوسع وأكثر إظهاراً للكفاءات وحيث يتمتع الناس بحرية أكثر، أو إلى أوروبا أو أمريكا حيث ينتشقون عبير الحرية المنعش»²، فمن خلال ضغط الحكم وجوره وعصبيته والضرائب الباهظة التي كان يفرضها على المواطنين العرب والأعمال الوحشية التي كان يرتكبها المواطنون الأتراك بدون رحمة أو إنسانية أو شفقة، دفع النفوس التواقّة إلى الحرية أن تلتبس لأصواتها الحبيسة وأفكارها السجينة منبرا حرا تعلن من فوقه ثورتها على الظالم والظالمين؛ « ولا ريب في أنّ الاستبداد التركي الذي ترك في بلادنا نتائج السلبية، قد انقلب في بعض وجوهه إلى نتائج إيجابية، حيث استطاع المفكرون والأدباء والشعراء أن يفجروا طاقاتهم المكبوتة، وأن يعبروا عن آرائهم

¹ - نعيمة مرّاد محمد ، العصبة الأندلسية ، هجرة الأدب العربي إلى البرازيل ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ،

ص 14

² - زهير ميرزا، ديوان ايليا ابو ماضي ، دراسة عن ايليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر ، بيروت ، دار

العودة ، ص 18 .

وأفكارهم دون خوف من حاكم جائر أو وجل من سلطان مستبد¹. فعلى الرغم من بطش وظلم واستبداد الحكم العثماني إلا أنه كان له جانب إيجابي، حيث خرج الأدباء والشعراء عن صمتهم واستطاعوا أن يعبروا عن آرائهم وأفكارهم بكل حرية .

ب-الباعث الاقتصادي :

بالإضافة إلى العامل السياسي ثمة عامل آخر كان له أكبر الأثر في حركة الهجرة الواسعة النطاق في العصر الحديث، وهذا العامل هو التدهور الشامل في اقتصاديات البلاد فقد كان لبنان مجتمعا زراعيا ألم بحظ ضئيل من الصناعات اليدوية البدائية التي يحتاج إليها أبناؤه في حياتهم وكان النظام الاجتماعي السائد هو نظام الإقطاع، والأراضي مقسمة بين أميرية " ملك للدولة " وأوقاف " ملك للمؤسسات الدينية " تفرض عليها الدولة الضرائب وقد كان أصحاب الإقطاعات يمتلكون الأراضي الزراعية في الجبل، وكان الفلاح اللبناني أحيانا عرضة لظلم صاحب الأرض من أصحاب الإقطاعات، يستبج أتعابه، ويصده عن التقدم في المجتمع، فكان هناك التفاوت من الوجهة الاقتصادية، وعدم المساواة من الوجهة الاجتماعية، « وفي ظل هذا التقك ظل رجال الدين يفرضون سيطرتهم، وظل الإقطاع باسطا جناحيه الثقيلين، فكان الفلاح يقضي سحابة عمره رازحا تحت وطأة سيده، وقد تعاون الإقطاع وحلفاؤه من المؤسسات الدينية والحكومية على إرهاب

الفلاح بضروب من التعسف والطغيان »².

¹ - خليل برهومي ، إيليا أبو ماضي ، شاعر السؤال والجمال ، ط1 ، بيروت : 1993 ، دار الكتب العلمية ، ص 09

² - فضل سالم العيسى ، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية ، عمان : 2006 ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، ص 18

وفي ظل هذا كان الفلاحون يعتمدون على الأساليب البدائية في البذر والجنّي، وعلى طرق الري الطبيعي أو على ما تبقى من مشروعات الري التي قام بها الرومان، ممّا أدّى إلى تناقص الأرض الصالحة للزراعة بفعل العوامل الطبيعية وتكرار المحاصيل واستنفاد المواد الطبيعية في التربة، وإلى ضعف نتاج ما تبقى منها، ذلك كله بجانب الضرائب الكثيرة والمداخيل الضئيلة وعدم اهتمام الحكومة بالمشروعات الزراعية والصناعية، ممّا أدّى إلى تدهور شامل في الزراعة والصناعة والتجارة على السواء، ونتج عن ذلك إغلاق الكثير من المصانع اليدوية التي كانت تنتج ما يحتاج إليه الأهالي، وبهذا تفاقم البطالة وأصبحت الحركة الصناعية بركود تبعه كساد في التجارة، ضف إلى ذلك الاستدانة من المصارف الأجنبية التي انتشرت برّيا فاحش، خاصة في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين¹، وكان كثيرا ما يؤدي إلى تراكم الديون على المستدينين فيضطرون إلى بيع أراضيهم أو تصفية مصانعهم، فتتلاشى بذلك تدريجيا موارد الرزق ورؤوس الأموال، فيضطر اللبناني أن يولي وجهه شطر المهجر المصري أو الأمريكي انتجاعا للرزق وسدا للعوز ودفعاً للفاقة .

وبهذا أقبل الناس على الهجرة هروبا من الفقر والشقاء ، وإهمال الزراعة والصناعة ، وشتى مرافق الحياة طالبين الغنى والثراء والمال .

ج-الباعث التاريخي القديم :

إنّ النزوح عن الوطن والهجرة ليست بجديدة على السوريين واللبنانيين، فهم ورثة الفينيقيين الذين كان دأبهم الحل والترحال والتجوال في آفاق الأرض ويفسر الأستاذ صروف هذا الباعث بحب الشاميين للهجرة فيقول : « إن الغريزة التجارية

¹ ينظر : نعيمة مرّاد محمد،العصبة الأندلسية ، ص 106

التي ورثها السوري عن أسلافه الفينيقيين وفقر بلاده ، والأحوال السياسية فيها أثناء الحكم العثماني حملته إلى أربعة أقطار المعمورة»¹ .

فالسوريون واللبنانيون ميالون بطبيعتهم إلى الهجرة منذ التفتوا إلى البحر الذي له تاريخ طويل معهم، فكانت الهجرة من تاريخ هذه الشعوب منذ وجودها، « فالسوري واللبناني مولعان من قديم بالهجرة وحب السعي في الأرض والاغتراب، وركوب البحار، وحياة العمل والتجارة، ولا يضير السوري أو اللبناني أن يهاجر إلى أي مكان يستطيع أن يجد فيه اليسر والرخاء، فحب التجارة والعمل غرائز متأصلة في نفوسهم»² .

نستطيع القول أن حب الشاميين للسفر وشغفهم بذلك نظرا للغريزة التي ورثوها عن أسلافهم، كانت دافعا لهجرتهم، خاصة إلى أمريكا، فلم تكن هناك قيود على الهجرة والمهاجرين ولا قيود تقيد حرية المهاجر في اختيار العمل الذي يريده، حيث أن فرص الغنى كانت كثيرة هناك .

د-الباعث الديني :

إلى جانب العوامل الرئيسية التي دفعت بالكثيرين من أهالي الشام إلى الهجرة، كان هناك عامل ديني، وذلك نظرا للحوادث الدامية التي أحدثتها التعصب ضدّ المواطنين والتي أدت إلى النزاع الطائفي المرير والصراع حول السلطة، ومع انتشار التعليم بين المواطنين منذ عام 1860 نشطت البعثات التبشيرية الإنجليزية واليسوعية في إنشاء المدارس بأنواعها والمعاهد والكليات، كما كانت هناك أنواع أخرى من المدارس مثل المدارس الوطنية ، وكانت إما مسيحية أو إسلامية إلا أنها تخضع

¹ -صابر عبد الدائم ، أدب المهجر ، دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري ، ط 1 ، القاهرة : 1993 ، دار المعارف ، ص 25 .

² -محمد أحمد ربيع ، في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ص 49

لرقابة شديدة من الحكومة لم تمكنها من أداء دورها بالإضافة إلى المدارس الطائفية التي كانت تقيمها الجماعات الدينية المختلفة وكان التعليم فيها باللغة العربية مع التأثير بمناهج المدارس الأجنبية وبدأت عملية وضع مناهج جديدة للدراسة في مدارس البعثات التبشيرية ، وأمرت بإعداد الكتب المدرسية باللغة العربية بجانب اللغات الأجنبية ، مما شجع الأهالي على الانضمام إلى هذه المدارس التي قدمت لهم المؤلفات العربية المطبوعة في كتب أنيقة باللغة التي يعتزون بها ، وقد أدى انتشار التعليم وما ترتب عليه من ثقافة وسعة أفق للطبقة المتوسطة إلى اتساع نطاق الهجرة بشكل ملحوظ ، وذلك لعدة أسباب منها أن المثقفين ظلوا فترة ويلة يكتبون ويجاهدون الحكومة والإقطاع ، ويهاجمون الأوضاع الفاسدة ، وبعد سنوات وجدوا ثمرة جهدهم لا تعود عليهم بالخير ، وإن عادت على مجتمعهم بالنهوض والإصلاح ، ووجدوا أن أبواب الوظائف تقفل في وجوههم ، وذلك عقابا لهم على دعواتهم التحررية ، فتركوا البلاد باحثين عن موارد الرزق في أماكن أخرى¹ .

لقد كان للبعثات التبشيرية دور كبير للغاية في عملية الهجرة، حيث أن أعضاء هذه البعثات كانوا يشجعون المواطنين على الهجرة، بما يروونه لهم من استقرار الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتقدمها في بلادهم، مما جعل الهجرة مناط الآمال بحثا عن الحياة الكريمة وهروبا من التسلط والفساد .

هـ- باعث الصدفة :

يقول الدكتور صابر عبد الدايم أنّ الشاعر رياض المعلوف يرجع أسباب هجرته إلى "الصدف " وذلك في رسالة أرسلها إليه مجيبا عن سؤال وجهه إليه حول البواعث التي دفعته إلى الهجرة ، والثمرات الأدبية والروحية التي أنضجتها تجربة الغربة ، ورد

¹ -ينظر ، نعيمة مرّاد محمد ، العصابة الأندلسية ، ص 17 .

قائلا : « هي الصدف ليس إلا ¹.. وزرت صيف 1939 باريس وبعدها اتجهت إلى معرض نيويورك العالمي حيث شهدت عظمى الحضارة والتمكبرات الحديثة، واجتمعت بأعضاء الرابطة القلمية إيليا أبو ماضي، ولیم كاتسفلیس، رشید أيوب وغيرهم ... وشاء القدر أن تعلن الحرب العالمية الثانية وأنا في نيويورك فذهبت إلى البرازيل لزيارة إخوتي فيها اسكندر وشفيق وادمون وأختي أفليته وأخوالي وأعمامي فوصلتها شهر أكتوبر 1939 ومن الصدف أيضا أنني تركت البرازيل إلى لبنان عائدا بالتاريخ نفسه 1946 ولعل تأخر هجرة الشاعر رياض المعلوف وما هو فيه من رغد العيش وظروف نفسية مستقرة جعلت الهجرة لديه صدفة ليس إلا .. »

كانت هذه دوافع الهجرة ، وهي بواعث تشتمل على الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أحاطت بهذه الحركة الأدبية الجديدة ، مما دفع الأدباء خاصة إلى الهجرة لأنهم وجدوا فيها متنفسا لهم .

2-نشأة أدب المهجر :

هاجر فريق من شباب البلاد العربية إلى الأمريكيتين ، وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر حيث « شرعت تنزح إلى بلاد كولمبوس جماعات من أبناء البلاد العربية ، ولا سيما من لبنان وسوريا، بعضها هربا من جور الأتراك، وبعضها انتجاعا للرزق، والبعض الثالث للسبيين معا، وبين تلك الجماعات المهاجرة كانت طائفة من الشبان الذين تتوقد بين جوانحهم قلوب متوثبة للحرية، وفي رؤوسهم آفاق رحاب من الفكر النير والخيال الخصيب، أولئك كانوا من الرعيل المثقف الواعي، الذي عزّله أن يعيش أسيرا للظلم والعوز، فانطلق يبحث عن الحرية والاكتفاء»². إذا بدأت تلك الهجرات إلى أرض المهجر في أواخر القرن التاسع عشر، وقد كانت

¹صابر عبد الدايم ، أدب المهجر ، ص 26

²عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ط3 ، مصر : 1977 ، دار المعارف ، ص 17

الغالبية العظمى من المهاجرين من سوريا ولبنان،» حيث نزلوا في كندا والولايات المتحدة وفي دول أمريكا الجنوبية، وبخاصة البرازيل والأرجنتين والشيلي وفنزويلا والمكسيك، ونقلوا اللغة العربية والأدب العربي إلى تلك المهاجر البعيدة، وكان من بين المهاجرين أدباء وشعراء، فأنشأ المهاجرون في تلك الديار النائية أدبا يعبرون به عن مشاعرهم، وكتبوا شعرا يصوّرون فيه عواطفهم ومختلف أحاسيسهم وتجاربهم ويتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى الوطن، ويصفون فيه حياتهم وما تعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب مريرة ومثيرة، وكان أدبهم هذا هو أدب مدرسة المهجر، وشعرهم هو الشعر المهجري الذي أصبح مدرسة شعرية من مدارس الشعر الحديث، وعنى به الأدباء والنقاد كناية كبيرة، وقد ولد هذا الأدب والشعر مع القرن العشرين، ثم نشأ ونما وترعرع وازدهر، حتى بلغ ما بلغ في الثلاثينات وما بعدها¹ فالمهاجرون نزلوا في مختلف بقاع أمريكا شمالها وجنوبها، حيث نقلوا الأدب العربي إلى تلك المهاجر وأنشأوا فيها أدبا والذي عرف بأدب مدرسة المهجر، وتشبه هجرة الشعر العربي إلى أمريكا الشمالية والجنوبية، هجرة الشعر كذلك إلى بلاد الأندلس في أوائل القرن الثاني الهجري (أوائل السابع الميلادي) .

فالشعر المهجري مثل الشعر الأندلسي، « كلاهما عاش في بيئة جديدة، وأحدث أثرا كبيرا ودويا ضخما في الشعر العربي كلّ، وكان مدرسة تجديدية كبرى شملت شتى مقومات الشعر وعناصره وأصوله، وإن اختلفت الهجرتان، فالهجرة إلى الأندلس كانت في ظلال دولة عربية قوية قامت هناك، والهجرة إلى العالم الجديد كانت في ظلال حياة المهاجرين الغرباء الضعفاء الذين لا يملكون شيئا من أمور المجتمع الذي

1-محمد عبد المنعم خفاجي ، حركات التجديد في الشعر الحديث ، الإسكندرية : 2001 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ص 174

يعيشون فيه في أرض العالم الجديد، وإن كانت قيمة الشعر المهجري تكاد تعادل قيمة الشعر الأندلسي ثراء وشمولا وتجديدا»¹.

وحين نتبع مسيرة الهجرة، ومواكب المهاجرين نرى «أنّ الهجرة بدأت أولا إلى امريكا الشمالية، ولم يتجه المهاجرون إلى جنوبها إلا بعد وصولهم إلى الشمال بنحو عشرين عاما، وكانت لهم أول الأمر مراكز للتجمع يلتقون فيها ثم ينداحون بعد ذلك في المدن والضواحي والقرى الأخرى»². وقد نشأ الأدب المهجري أول ما نشأ متأثرا بحركتين: «حركة التجديد الجبارة التي تزعمها " خليل مطران " في الشعر العربي، وحركة البعث الأدبي الأمريكي المتجاوبة مع خير ما في أوربا من ادب، أما الآن فهو أدب إنساني له شخصيته القوية الحرة، وأنصاره مثقفون موهوبون متعددون »³.

والأدب المهجري أدب واقعي في أكثره يتجاوب مع الحياة والحضارة، وتبدو في أكثر آثاره صفة التركيز، ولقد تجاوب مع الحركة الابتداعية في الشعر العربي الحديث التي مهد لها مطران، والصوفية التي اشتهر بها جبران قد انتهت الآن مع الأدب المهجري، وهو كذلك أدب ثقافي ناضج كامل التفاعل مع الحضارة الأمريكية، وهو أدب مشغول بالحياة وجميع مقوماتها متفاعل معها غاية التفاعل وجدانيا وفكريا بصورة إيجابية، ولقد عرف أدباء المهجر كيف يستوعبون الروح الأمريكي بجميع خصائصه البديعة وقد تأثر الأدب المهجري بكل ما حوله ، فتناول الحياة بكل ما تعنيه؛ تناولها في القصص، وفي المقالة وفي النقد، وفي الشعر، وفي الفن، وفي المسرح وفي كل شيء ، وعرف هذا الأدب قيمة الوقت ونفاضة التركيز ، وهو في كل هذا يجاري الوسط الذي أنشأه التفكير الأمريكي والأسلوب الأمريكي خاصة .

¹ - محمد عبد المنعم خفاجي ، حركات التجديد في الشعر الحديث ، ص 175 .

² - صابر عبد الدائم ، أدب المهجر ، ص 14 .

³ - أحمد زكي أبو شادي، قضايا الشعر المعاصر ، القاهرة : 2012 ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ص 41 .

ولا شك أنّ الأدب المهجري قد أفاد الأدب العربي وضوح أثر وقوة تجديد وعرف هذا الأدب في جملته بالاتجاه العاطفي والوجداني، والتحرر من القيود، وقد تأثر المهجريون بطاغور والخيّام، فجاء أدبهم مزيجاً من الصوفية والرواقية فيه الشرق والغرب، أمريكا ولبنان وسوريا، والنزعة الرومانسية واضحة فيه، وقد نقد هذا الأدب عزيز أباضة «بأنّه لم يجدّد شيئاً ولم يضيف للأدب العربي جديداً ولم يتبلور بعد، ولم يتّخذ صورة واضحة المعالم، وفي ذلك يذكر الشاعر المهجري جورج صيدح التجديد الذي قام به المهجريون، أنّه كان في الموضوعات والفكرة وقد انعكس هذا التجديد في الأساليب، وهم لم يخرجوا على البحور، بل واصلوا رسالة الأندلسيين، فنوّعوا الموشحات وحملوها الفكر العميق، وقد خلقوا الحوار في الشعر فكتب إيليا أبو ماضي المسرحيات والملاحم والمطولات، كما كتب فوزي المعلوف " ملحمة على بساط الريح " وميزتهم أنّهم بعثوا الحياة في الكلمة وأنهم واقعيون لم ينفصلوا عن حياة المجتمع، ودافع العقاد عن الأدب المهجري وقال : إنه ثمرة أربعين سنة، وإنه ثروة وريح للغة العربية»¹.

ويرى الدكتور أبو شادي أنّ الأدب المهجري لم يقطع صلته بالشرق وبالعروبة والإسلام، فجميعها مؤثر عليه من النواحي العاطفية غالباً، وهذه تشمل الوطن والدين والسياسة ... وأبرز ملامح الأدب المهجري عنده هو حريته وثقافته وإنسانيته، وهو مزيج من الواقعية والرومانسية والرمز والسريرية .

إنّ الهجرة التي وقعت بين اللبنانيين «جاءت بآثار عظيمة في حياة الأدب العربي لأنّ هجرتهم ليست بهجرة أنفسهم فحسب، وإنّما هجرة ثقافتهم وآدابهم فالأدب بهجرته من أمة إلى أخرى يثبت حيويته ومرونته وصلاحيته للدوران في أقطار الفكر

¹—محمد عبد المنعم خفاجي ، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ط1، بيروت : 1992 ، الجزء الأول ، ص 329 .

الإنساني، والأدب في هجرته من أمة إلى أمة يكتسب نغمة جديدة أو لمسة مستحدثة أو لونا فريدا أو العديد من ذلك طبقا لما لدى الأمة الآخذة من قوة تستطيع بها إثراء الأدب الوافد»¹.

لقد كان للأدب المهجري الأثر الكبير في ازدهار الأدب العربي، لأنه قدم مساهمة لا تقدر في توجيهه نحو تيارات جديدة، وأصبح للأثر الأدبي العربي في العصر الحديث فردية وشخصانية بفضل أدب المهجر.

3- اتجاهات أدب المهجر :

هاجرت طائفة من الشباب اللبناني والسوري منذ أواخر القرن التاسع عشر بحثا عن العمل وطلبا للعلم، واستكشاف عوالم جديدة، وهروبا من كبت الحريات أحيانا متجهين إلى الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، وقد استقرت فئة منهم في المهجر الشمالي (الولايات المتحدة الأمريكية)، كما استقرت فئة أخرى في المهجر الجنوبي (البرازيل)، وقد وجد المهاجرون عناء وتعبا، فلم يكن الحصول على لقمة العيش سهلا كما ظنّوه، ولكنهم وجدوا في بيئتهم الجديدة من الحرية ما ساعدهم على ممارسة إبداعهم الأدبي، كما أنّ شعورهم بالغربة وحنينهم إلى الوطن البعيد، وخوفهم على لغتهم وهويتهم العربية من الضياع في مجتمعات يبدو كل شيء فيها غريبا عنهم، جعلهم يلتقون حول بعضهم بعضا، ودفعهم إلى تأسيس الجمعيات والأندية والصحف والمجلات يلتقون فيها ويمارسون من خلالها أنشطتهم، وظهر من بينهم الشعراء والأدباء الذين نشأت بهم مدرسة عربية أدبية مهمة هناك سميت مدرسة المهجر، أسهمت مساهمة كبيرة في نهضة الدب العربي الحديث، وقد انقسمت مدرسة المهجر إلى :

¹ - نظمي عبد البديع محمد ، أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ص

أ-الرابطة القلمية : تمثل الرابطة القلمية في المهجر الشمالي « الثورة على الوقوفين، فقد امتلأت صدور أكثر أعضائها بالآداب العالمية الحديثة المتنوعة، فأدركوا أنّ الأدب الحق إنّما هو إبداع، وأنّ التقليد يهيض الأجنحة ويعقم الفكر حيث تضم أبرز أدباء المهجر وأخصبهم نتاجاً»¹. وقد تأسست سنة 1920 برئاسة جبران خليل جبران (1883-1931)² بنيويورك، حيث أنّه في ليلة العشرين من نيسان عام 1920 ولدت فكرة " الرابطة " في مجلس ضم باقة طيبة من الشبان اللبنانيين والسوريين، كانت الغيرة على الأدب العربي تتلّهب في نفوسهم، والأسف على حالته المؤلمة يلعب في قلوبهم، وكل منهم يتلمس أجدى السبل لإيقاظه من عشرته الطويلة وجموده الثقيل، وسرعان ما التأمّت الآراء على استحسان الفكرة، وعلى مباشرة العمل لأجل تحقيقها، ولم يمض أسبوع حتى خرجت الرابطة من حيز التفكير إلى حقيقة الوجود، يرأسها جبران " عميدا" ويعاونه في إدارتها ميخائيل نعيمة مستشارا ووليم كاستفليس خازنا، ويعمل تحت لوائها سبعة آخرون يحملون اسم العمّال هم : إيليا أبو ماضي، نسيب عريضة، عبد المسيح حداد، ورشيد أيوب، وندرة حداد، ووديع باحوط ، واليأس عطا الله³ .

أمّا عن سبب تسميتها بالرابطة القلمية فإننا نجد الباحث " محمد عيسى " يورد اجتهدا لصاحب قصة الأدب المهجري فيقول : « أما عن سبب تسميتها، فقد جاء تيمنا بكتاب الله الجليل القرآن الكريم، وتمسكا بالعروبة، متمثلة في لغة القرآن كلام الله عز وجل، وإيماننا باللغة العربية، وبمكانتها العظيمة وبدورها الريادي الإنساني،

¹ - نسيب نشاوي ، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر (الاتباعية ، الرومانسية ، الواقعية ، الرمزية) ، الجزائر : 1984 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 177

² - محفوظ حكوّال ، المذاهب الأدبية الكلاسيكية ، الرومانسية ، البرناسية (الفن للفن) الواقعية ، الرمزية ، الوجودية ، الدادية ، السورالية ، 2007 ، دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 74

³ - ينظر: عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 22 .

وبأنّها أم اللغات، ولأنّ القلم قد شرفه الله في القرآن لأنّه النبع الصافي لكل فكر وثقافة، فجاء اختيارهم موفقاً»¹.

أي أنّ الرابطة القلمية تنتسب إلى القلم الذي شرفه الله تعالى في الذكر الحكيم. وكان لابد لهذه الجماعة الصغيرة الخالقة من حديقة ينثرون على ثراها بذورهم ويغرسون في أدبها أغراسهم، «فكانت جريدة السائح التي يملكها أحدهم - عبد المسيح حداد - تلك التربة الخصبة التي حملت للعالم العربي قرائحهم الياقة فأدهشته بذلك المحصول الطيب»²، وعلى إثر تنظيم الرابطة أخذت كتابات أعضائها تظهر على صفحات جريدة " السائح " وتحت كل مقال اسم صاحبه، وأقبل السوريون والعرب في المهجر على قراءة السائح ومتابعة ما تنشره من آثار هؤلاء الكتاب والشعراء، وأخذت تصدر بنهاية العام عددا ممتازا يشترك في تحريرها كل أعضاء الرابطة، وتوشح بالرسومات الجميلة المعبرة من رسام الرابطة ورئيسها جبران خليل جبران الذي رسم شعارا جميلا للرابطة ووضع معه هذه العبارة " لله كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة الشعراء "، وقد أعلنوا رأيهم في الأدب والأديب، كما يقول ميخائيل نعيمة: « الأدب هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب هو الذي خصّ برقة الحس ودقة الفكر، وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها وبمقدرة البيان عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير »³، أي ليس كل ما دُون بالحبر يسمى أدبا، وليس كل من حرّر مقالا أو نظم قصيدة موزونة فهو أديب، إنّما هو من يمتلك رقة الحس ودقة الفكر، وعن أثر مجموعة الرابطة القلمية في الشرق العربي وفي المهجر، ترى الدكتورة نادرة السراج «أنّ كتابات المهجرين وبشكل خاص أدباء الرابطة القلمية، كان لهم عظيم الأثر في نفوس الشرقيين لأنّ عقولهم بدأت تتفتح نحو التجديد ولو بصورة

¹ - فضل العيسى ، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية ، ص 45

² - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 23 .

³ - ينظر ، محمد أحمد ربيع ، في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ص 59

أولية، فما إن وصلت كتابات الرابطة القلمية إلى أبناء الشرق العربي حتى تقبلتها القلوب والعقول أحسن قبول وأخذ أصحاب الصحف والمجلات العربية ينقلون بعض محتوياتها وخاصة ما كان من كتابات جبران ونعيمة وإيليا أبو ماضي الذين كانوا من أعمدتها ، وهكذا نجد لهذه الجماعة ومؤلفاتها صدى كبيرا في الشرق العربي وبشكل خاص عند أصحاب النزعات التجديدية، أما أنصار المحافظة في المشرق العربي فقد قابلوه بعدم الرضا لأنّ هذا الشعر المهجري الشمالي لا يتوخى البحور العروضية المعروفة، والأوزان المطروقة، كما عارضوا ادباء مدرسة الرابطة القلمية لعدم اهتمامهم باللغة وقواعدها¹.

ومنه فإنّ أثر هذا الأدب الجديد في الشرق العربي قابله تأييد ومعارضة بين أنصار ورافضين لهذا الأثر .

لقد ظلت الرابطة القلمية حيّة بأعضائها العشرة نحو إحدى عشر سنة، من سنة 1920 إلى سنة 1931، ثم تبعثرت حبّاتها حين راح مقص الموت يقلم أعضائها، مبتدئا بعميدها جبران خليل جبران، ثم تلاه رشيد أيوب، واليأس عطا الله، ونسيب عريضة، ثم ندره حداد، فوليم كاستفليس، فوديع باحوط، وإيليا أبي ماضي، ثم توفي عبد المسيح حداد في نيويورك عام 1963، وكان قد باع في أواخر عام 1957 حقوق جريدة " السائح " -حديقة الرابطة القلمية المعطاء - إلى راجي الظاهر صاحب جريدة " البيان " فاندمجت الجريدتان في واحدة هي البيان، ومضى عبد المسيح يعمل فيها حتى وفاته، أمّا ميخائيل نعيمة فقد عاد بعد وفاة جبران إلى قريته اللبنانية " سبكنتا " ².

¹ - ينظر ، محمد أحمد ربيع ، في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ص 62 .

² - عيسى الناعوري : أدب المهجر ، ص 24

وهكذا انتثر العقد الذي اجتمعت حياته عددا من السنين وتآلفت أرواح أصحابه مدة من الزمن على الحب والوفاء والإخلاص لعملهم حتى خلدوا اسماءهم بتلك الكنوز الأدبية التي خلفوها لأمتهم ولكل محب للأدب .

ب-العصبة الأندلسية :

قامت هذه الجمعية بالمهجر الأمريكي الجنوبي في البرازيل وبالتحديد سان باولو فما إن أذنت شمس الرابطة القلمية في الشمال بالمغيب، حتى سطع هلال العصبة الأندلسية في الجنوب، وكما لجأت فئة المهجر الشمالي إلى تكوين الرابطة القلمية لنشر آدابهم، كذلك فعلت فئة المهجر الجنوبي فعملت على تكوين مدرسة أدبية تخرج من خلالها الكلمة المقروءة التي تعبر عن مشاعرهم وأحاسيسهم وتحمل معاني آدابهم فكانت العصبة الأندلسية، « وكان صاحب الفكرة هو الشاعر شكر الله الجر صاحب مجلة " الأندلس الجديد " في ريو دي جانيرو، وقد خفّ بنفسه إلى سان بولو لتحقيقها، فوجد لدى ميشال المعلوف الاستعداد الكلي للتنفيذ»¹، وكانت الفكرة نبيلة، وهكذا بدأ ميشال المعلوف وشكر الله الجر وزملاؤهما العمل بإنشاء رابطة لهم، أطلقوا عليها اسم " العصبة الأندلسية"؛ « وقد اتسمت حركة العصبة الأندلسية بالهدوء والاتزان، ويشير اسم العصبة الأندلسية إلى مدى تأثر المهجريين بالأدب الأندلسي، وخاصة بالروح الغنائية والموسيقى في الموشحات»²، فأرادوا ان ينشروا رسالتها، ويذيعوا أدبها فأنشأوا لها مجلة أسموها " العصبة " وقد تولى رئاسة تحريرها الأديب المهجري " حبيب مسعود " .

ولدت العصبة الأندلسية «في مطلع كانون الثاني سنة 1932 ، وكانت تتألف حين تأسيسها من : ميشال معلوف رئيسا، داود شكور نائب رئيس، نظير

¹ - المرجع نفسه ، ص 28

² - محمد عبد المنعم خفاجي ، حركات التجديد في الشعر الحديث ، ص 180

زيتون أمين السر، يوسف السبعيني أمين الصندوق، حبيب مسعود خطيب، والأعضاء : نصر سمعان، حسني غراب، يوسف غانم، اسكندر كبراج، أنطون سليم سعد، شكر الله الجر»¹.

ومنذ تأسيس هذه العصبة، ورئيسها ميشال المعلوف يراها بعنايته الخاصة وبذله المتواصل، فاتخذ لها مقرا، وبقي ينفق عليها من ماله حتى سنة 1938 .

وما إن بدأت العصبة بنشر أخبار أدباء الرابطة، وكتابات شعرائها وأدبائها«حتى ذاع اسمها كمجلة المهجريين وكرابطة ترعى الأدباء في مهاجرهم الجديدة، وتسابق الأدباء والشعراء إلى الانضمام لهذه العصبة الأندلسية، امثال : شفيق المعلوف، والشاعر القروي رشيد سليم الخوري، وأخوة قيصر سليم الخوري، وتوفيق قربان، ونعيمة قازان، واليأس فرحات، وعقل الجر، ونجيب يعقوب، وجورج أنطون، وأنيس الراسي، وجبران سعادة، وتوفيق ضعون، ورياض المعلوف، وسلمى الصائغ، وفؤاد نمر. وهكذا أصبحت العصبة الأندلسية رابطة أدبية عظيمة الأهمية ، وأصبح مقرها ندوة لهؤلاء المغتربين الأدباء ومجلتها مسرحا لخواطرم وخلجات قلوبهم وملتقى لأفكارهم ، وتبلور بواسطتها الأدب العربي في البرازيل ، وأصبح مدوي الصوت بعيد الشهرة ، بارز الأثر في تاريخ الأدب العربي الحديث»².

وقد حدّد الأعضاء مبادئ العصبة بتعزيز الأدب العربي وتأخي الأدباء ورفع مستوى اللغة العربية ومكافحة التعصب، وكتب شفيق المعلوف معرفا بالعصبة وغاياتها فقال « إن أركانها أجمعوا على النضال في سبيل الأدب من حيث هو فن وجمال، دونما نظر إلى إطار أو مصدر فلا اغتراف من معين ينبوع منشود، ولا تمسك بفرع من فروع الشعر محدد، ومن أميز ما اتسم به أدب العصبة وشعر شعرائها أنهم ترسموا

¹ - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 28

² - محمد أحمد ربيع ، في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ص 66

أساليب الفصحى، وتقيدوا بأحكامها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، كما أنهم جالوا في مضمار التجديد صامدين بأدبهم دون فوضى التجديد»¹. فأدباء العصابة أظهروا اهتمامهم باللغة وتمسكوا بالديباجة المصقولة - كما أنها لم تقرض نمطا بعينه للأدب، ولم تحدد شكلا بعينه للأدب، ولا وظيفة محددة للأدب. أمّا من المدارس المهجرية الجنوبية والتي لم يكن لها أثر بارز في الشعر المهجري الجنوبي:

-**رابطة منيرفا:** «لما هاجر الدكتور أحمد زكي أبو شادي إلى نيويورك في أبريل / نيسان 1946 واستقر به المقام فيها، أنشأ عام 1948 رابطة أدبية أسماها رابطة منيرفا»². وكان هو من يرأسها، ونائبه عبد المسيح حداد، ومن أعضائها حرم الدكتور أبي شادي وهي الأدبية صفية أبي شادي، والشاعر نعمة الحاج .

-**الرابطة الأدبية:** «تأسست في " يونس أيرس " بالأرجنتين عام 1949 ، فكان لها أثر حسن في تدعيم أركان الأدب العربي هناك ولو إلى عهد قصير من الزمن»³.

وقد أنشأها الشاعر جورج صيدح ، وكان من أعضائها يوسف الصارمي ، وعبد اللطيف الخشن ، والشاعران الأخوان إلياس قنصل وزكي قنصل ، واختقت بعد عامين إثر عودة صيدح إلى الوطن ، لقد كان أدباء المهجر - بفئتيه الشمالي والجنوبي - بركة على الأدب العربي بعد عهد طويل من الجمود، فقد كان لهم الدور الفعال في إثراء الأدب العربي، مما أضفوه من عناصر جديدة ونظارة، بفضل تلك الفئات النازحة التي شادت في تلك الربوع العصبية، وما عاشته من تجارب مهمة على جميع المستويات، أتاحت لهم أن يلعبوا دورا مهما في النهضة الشعرية في العالم العربي.

¹ - محمد عبد المنعم خفاجي ، حركات التجديد في الشعر الحديث ، ص 181

² - المرجع نفسه ، ص 182

³ -نسيب تشاوي ، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، ص 201

4-العوامل المؤثرة في أدب المهجر :

إنّ عامل التأثير له دوره الجاد في ازدهار الآداب واتساع آفاقها ومضامينها، ولا تستطيع أمة تقدر الفكر وترى في الأدب تجسيدا لحركتها في الحياة، وصورة أوقعها وآمالها وأحلامها وآلامها، أن تعيش بمعزل عن التيارات السياسية والثقافية والأدبية العالمية، ولا أن تغمض عينيها عن التراث الحافل بمآثر الأقدمين، والتأثر دليل الحيوية والتفتح، وهو النافذة التي تتيح للفكر استشراف آفاق جديدة، ومعايشة تجارب جديدة .

وقد تأثر الأدب المهجري شأنه شأن الآداب الأخرى بمؤثرات كثيرة .. سرت فيه وذابت، وبقي محتفظا بطبيعته المستقلة وشخصيته المتميزة عن غيره، ولم يقتصر على هذا بل تجاوز مرحلة التأثر إلى مرحلة التأثير، ولم يؤثر في الأدب العربي فقط، بل أثر في الأدب الأوربي أيضا، ومن المؤثرات التي تأثر بها في أدب المهجر ما يلي :

-**المؤثرات الدينية :** فقد تأثر بالتراث العربي الإسلامي، حيث ظهر في أدبهم وشعرهم أثر قوي من فكر المتصوفين، « ولم يقطع الشعر المهجري صلته بالشرق أو بالعروبة أو بالإسلام، فجميعها مؤثر عليه من جوانب كثيرة، مما يشمل الوطن والسياسة الدين، وماكتبه القروي من شعر في رسولنا الأمين محمد - صلى الله عليه وسلم - وقصيدة إلياس قنصل عن النبي العربي الكريم، خير مثل لإيمانهم بقدسية الرسالات وجلالها»¹ .

كما تأثر المهجريين بفلسفة الشرق وفكر المتصوفين والفلاسفة المسلمين، والنصوص هي الدليل القوي والفيصل في هذه القضية، وكذلك الاعترافات الشخصية

¹—محمد عبد المنعم خفاجي ، حركات التجديد في الشعر الحديث ، ص 189

للمهجرين لها دور لا ينكر في حسم أمثال هذه الأمور، حيث أنهم تأثروا بأبي العلاء وابن سينا والغزالي، وتأثروا بالخيام وابن الفارض والحلاج وابن عربي ... وكان لذلك التأثير باعث قوي على اتجاههم التأملي¹. و لا أدل على ذلك كتابات المهجرين المتأثرة بالفكر الفلسفي والخيال الصوفي .

-المؤثرات الأدبية : ومن المؤثرات التراثية التي أثرت في الأدب المهجري الأدب الأندلسي، وكان تأثيره فيه تأثير النبع القديم في الروافد التي نهلت من ذلك النبع، وتشبعت لتلتقي ينابيع كثيرة غيره فيحدث تمازج واختلاط، ويرجع تأثر الأدب المهجري بالأدب الأندلسي إلى صلة الأمريكان الذين يعيش بينهم المهجرون بالإسبان وأهل الأندلس، وكذا التشابه في ظروف الهجرة، وإن اختلف الزمان والمكان والهدف، حيث يقول حبيب مسعود : « فالعرب دخلوا الأندلس فاتحين ونشروا هيباتهم فدرج الأدب والعلم في ظلال أعلامهم وزها الشعر في خمائل مجدهم، أما نحن فقد دخلنا أرض كولومبوس مسترزقين طالبين عطفًا، سائلين عدلاً، فلا نبرّر تسمية بيئتنا " بالأندلس " إلاّ اعتبارنا أنّ نشر الأدب العربي في البلد الغريب وفي الأميين من قومنا هو فتح مبين »².

ومظاهر هذا التأثير تبدو في أعمال الشعراء والأدباء، فجيران خليل جبران يقول أنّ الأدب الأندلسي كان من مصادر ثقافته الأولى، وإلياس فرحات يحي الأندلس في موشحته بعنوان الأندلس فيقول :

يا ابنة الزهراء يا أندلسية

إن من أجدادك العرب بقية

لم تزل شامخة الرأس أبية

لم تفرقها مساع أجنبية

¹ - ينظر ، صابر عبد الدايم ، أدب المهجر ، ص 88 .

² - المرجع نفسه ، ص 209

لم تفتتها دواع مذهبية كلما مرت بها ربح الخزامى

أرسلت معها لأهلك السلام¹

ولم يكتف شعرائنا المهجريون بأن استوحوا أمجاد الأندلس وأيامهم الجميلة في شعرهم ونثرهم بل سموا رابطتهم الأدبية " العصبية الأندلسية " وقد تأثر المهجريون في الصياغة وكيفية الأداء بالموشحات الأندلسية لأنهم قد أطلوا النظر في الموشحات، وفيما اهتمت إليه من أشكال موسيقية تعتمد على التنوع في القافية، أو اللعب بعدد التفاعيل، على أن يخضع كل ذلك لنظام موسيقي ثابت، ويرى الناعوري أن المهجريين طوروا فن الموشحات نظرا لظروفهم التي ساعدتهم، كالجو الجديد الذي عاشوا فيه ، والآداب العربية التي اتصلوا بها والحرية الواسعة التي امتلأت بها نفوسهم².

فالمهجريون تأثروا بالموشحات الأندلسية، ولقد أضافوا إليها بروحهم التجديدي إضافات جديدة .

ولقد تأثر المهجريون بالآداب العربية القديمة والحديثة، وبمختلف المدارس الشعرية الجديدة خاصة مدرسة شعراء الديوان في مصر، والعقاد هو الذي قدم كتاب "الغربال " لميخائيل نعيمة إلى القراء، وفي هذا التقديم ثناء من العقاد على أدباء المهجر وشعرائه الذين فكوا عن القرائح قيود التقليد، «وفي تراث المهجريين كما في تراث مدرسة الديوان حملة على التقليد والمقلدين تتسم بالحدّة عند جبران خاصة على نحو محرّر من التطبيق الفني الذي نهجه العقاد والمازني في الديوان»³.

¹ - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 249

² - صابر عبد الدايم ، أدب المهجر ، ص 210 .

³ - أنس داود، رواد التجديد في الشعر العربي الحديث، ليبيا ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ص 64

وقد تبادلت هاتان المدرستان التأثير وأفادت كل منهما من الأخرى، وكان التقاء المدرستين في الدعوة إلى التجديد في الشرق العربي وفي المهجر، والثورة على القديم، « كذلك تأثر المهجريون شعراء مدرسة " أبو لو " وأثروا فيها أيضا، وكذلك شعراء مدرسة البعث، وفي مقدمتهم شوقي وحافظ، والزهاوي والرصافي، وكان للشعراء العرب الكبار مثل المتنبي والمعري وأبي نواس، وأبي تمام، والبحري، أثر كبير في شاعريتهم وشعرهم وقد نزع بعض المهجرين إلى تقليد قصائد الشعراء القدامى والمحدثين ومعارضتها»¹.

-ومن المؤثرات التي ظهرت في أدب المهجرين، توافقهم مع حركة التجديد في الأدب العربي المعاصر، ولعل رومانسية الشعر المهجري مستوحاة في بدايتها من الشرق، من خليل مطران، فمطران شاعر رومانتيكي أصيل، والمتنوع لشعر مطران الطبيعة وصوره الشعرية، وصياغته يلمح إلى هذا الشبه بينه وبين بناء القصيدة عند المهجرين، وكأن روحا تجديدية سرت فيهما فتشابهت مشاعرهما، وكذلك الأساليب الكلاسيكية المجددة اتباعا لمدرسة البارودي، ثم سرعان ما استقل شعراء الطليعة المهجريون بكل شيء تحت تأثير البيئة الأمريكية².

وتتمثل العناصر الرئيسية في المضمون الرومانسي، «في الوصف العاشق لجمال المناظر الطبيعية، والعودة إلى عصور الفروسية، والتغني بالماضي المجيد للوطن، واحترام كيان الإنسان في حد ذاته، وتأييد الفرد في ثورته ضد المجتمع، كما أنّ الرومانسية تنادي بتحطيم القواعد والتقاليد القديمة، مما يساعد على حيوية الحركة

¹- محمد عبد المنعم خفاجي ، حركات التجديد في الشعر الحديث ، ص 182

²- ينظر ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، ج 1 ، ص 333

الأدبية وإثرائها بالجديد من الأشكال والمضامين، والأفكار الثورية التي أعلنها الأدباء الرومانسيون في وجه الكلاسيكية القديمة»¹.

ورومانية شعراء المهجر تأثرت بعوامل شتى من أبرزها :

-وجود هؤلاء الشعراء خارج أوطانهم، وبلدانهم، مما جعل الحنين موضوعاً مشتركاً في أكثر قصائدهم، والغربة إحدى اللواعج التي يعانون منها، وكل من الغربة والحنين يعدّ زاداً ضرورياً لشعر الرومانسية القائم على البوح بما يعانيه الشاعر ويتألم به .

-تأثر شعراء المهجر بالأدب العربي عامة والأمريكي خاصة لا سيما وأن الأدب العربي عرف قبل حركة المهجر، رسوخ أشكال أدبية نثرية جديدة، كالقصة القصيرة، والرواية، والمقالة والمسرحية، وشيوع هذه الألوان النثرية يمثل تحدياً أمام الشعر الذي ظل يسعى منذ البارودي وشوقي للإفادة من هذا الانفتاح، فجاء التفاعل مع الرومانسية الغربية في الشكل والمحتوى صورة من صور هذا التأثير، يضاف إلى هذا ظهور حركات فكرية وسياسية هزت الكثير من القناعات التقليدية، مما فتح الباب أمام ظهور تيارات أدبية جديدة، وكذا تأثر شعراء المهجر بما يقع في وطنهم الأصلي من حوادث، حيث كانوا يتابعون من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة ما يجري هناك² .

وهذا كله جعل الثقافة العربية عموماً، والشعر على نحو خاص عرضةً لذبذبات من التأثير والتأثير، وكان المهجريون أسبق الشعراء وأكثرهم تأثراً بالحياة الغربية، ولا سيما بالاتجاه الرومانسي الذي كان حتى ذلك الحين يفرض وجوده، وسط معترك الاتجاهات.

¹ -نبيل راغب ، موسوعة النظريات الأدبية ، ط1، القاهرة : 2003 ، الشركة المصرية العالمية للنشر لوجمان، دار نوبار للطباعة ، ص 314 .

² - ينظر: إبراهيم خليل ، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، ط1، عمان : 2003 ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، ص 120 .

-المؤثرات الأجنبية : بالإضافة إلى المؤثرات الدينية والأدبية، فقد تأثر أدب المهجر بمؤثرات أجنبية تتمثل في :

الاطلاع على فلسفة الهنود ومذاهبهم القديمة والفلسفة الصينية، والآداب الفرنسية والإنجليزية والأمريكية والإسبانية والبرتغالية، حيث جعلت الأدب المهجري يتجه إلى العمق، ويعالج هموم الذات، وتأمل الحياة وخفاياها، والطبيعة، وما تحفل به من أسرار وسيطرة الحزن على أشعار شعرائه، وشيوع المذاهب الفلسفية في قصصهم وأشعارهم كوحدة الوجود، والتقصص والتناسخ، وتجدد بناء الإنسان ...

فكل هذه الأفكار كانت صدى لهذه المؤثرات المختلفة .

ولقد تأثر الرابطيون بالآداب الأجنبية، أمريكية، أوربية، وروسية، «ففي مجال الأدب الإنجليزي كان لابد لشعرائنا ممن يتقنون اللغة الإنجليزية من أن يقرأوا شيئاً منه أو يتعرفوا إلى أدباء وكتاب أمريكيين، كما فعل جبران خليل جبران، الذي كان يتردد على المنتديات الأدبية في أمريكا، فالجو الأدبي في أمريكا كان حافزاً للاطلاع على ما سطره أدباء أمريكا، فضلاً عن متابعة الجرائد والمجلات الأدبية هناك، فليس من المعقول أن تحيا جماعة أدبية في منطقة أجنبية دون أن تطلع على آثارها الأدبية»¹.

فالمهجريون تأثروا بالآداب الأجنبية بعد أن اطلعوا على نتائجها وآثارها الأدبية، «وتأثر الأدباء المهجريون بالأدب الإنجليزي أيما تأثر، وقلّدوه في بعض أنواعه وهو الشعر المرسل، والشعر الحر، " وترسموا خطى " ولت وتمان " الأمريكي في ديوانه الذي أودعه شعره الحر، وسماه أوراق العشب، وقلّدوه كذلك في كثرة الحديث عن النفس وتأملاتها وفي الكلام عن الضمير والوحدة وفي نزعتة الصوفية»².

¹ - فضل سالم العيسى ، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية ، ص 56 .

² - عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، القاهرة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزء الثاني، ص 232

-كما تأثر المهجريون في أمريكا بمبدأ التسامي، وقد ظهرت على يد " إمرسن " (1803-1882) ومعناه العناية بكل ما هو روحي والسمو بالروح إلى أفاق علوية، ومعاونة كل من يعيش بالروح، وهذا مظهر لاحق للرومانسية الأوروبية، وكلتا الحركتين تسيران على مبدأ عدم الصبر على التفكير الكلاسيكي السقيم¹، كما استمدت هذه الحركة أصولها الفكرية من الصوفية والأفلاطونية الحديثة والديانات الشرقية كالبودية، ويبدو أن شعراء الرابطة قد تأثروا بهذه الأصول الفكرية ذاتها .

ومن ادباء أمريكا المشهورين والذين كان لهم أثر في الحياة الفكرية هناك والأدبية في ذلك الوقت، والت ويطمان، وولف والد، وامرسن، وهنري دافيدثورو .

وقد تأثر المهجريون « بالنزعة الرومانسية الأوروبية، وتتشابه مدرسة المهجرين مع المدرسة الرومانسية حتى في أسباب التكوين، فالرومانسية الغربية نشأت في أعقاب الثورة الفرنسية، والمدرسة المهجرية اتّضح كيانها وبرزت ملامحها بعد الحرب العالمية الأولى وحتى في الفن والتصوير فهما متشابهان أيضا إلا أن المدرسة الرومانسية كان لها أكثر من مصور بينما كان للرابطة القلمية مصور واحد هو جبران خليل جبران»² ، وقد تأثر جبران بالشاعر الإنجليزي "وليم بليك " فأدب جبران خليط من تفاعل روحي وفكري ، استمده من " وليم بليك " و " رودان " وانبثق عن ذلك الخليط العجيب بعد انصهاره في بوتقة ذلك العالم الحديث ما كتبه في العربية والإنجليزية .

وقد استمد شاعرنا من " وليم بليك " إنسانيته التي تؤكد الإخاء الروحاني والمساواة لذلك نجده يتمرد على الظلم، والتمييز بين الناس، وضد ظلم النظام، وضد

¹ - فضل سالم العيسى، النزعة الانسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 61

² - صابر عبد الدايم ، أدب المهجر ، ص 224

الملوك الطغاة، وضد الكنيسة ورجال الدين، ويتعصب للإنسان العفوي العادي كالرعاة والفلاحين ، وهم أبطال قصصه الإيجابيين ¹.

على أنّ هذا التأثير بالآداب الغربية والمدرسة الرومانسية الغربية خاصة، لم تمنع الشعراء المهجريين من أن تكون لهم شخصيتهم العربية المستقلة .

« لقد أمعن شعراء المهجر النظر في الثقافات الغربية، وعرفوا كيف يستفيدون منها بعد أن هضموها في لغاتهم الأصلية، نظرا لمدى أهمية الثقافات الغربية التي احتك بها شعراء هذه المدرسة في أنحاء الأمريكيتين المختلفة، وقد وقف الشعراء المهجريون أمام الثقافات الغربية مشدوهين، يعبّون منها ويترجمون عنها، حتى أن شاعرا كنظير زيتون يترجم عن اللغة الروسية ويقال أنّ ميخائيل نعيمة أيضا كان يعرف الروسية ويقرأ بها»²؛ وذلك لتلقي العلم وهو المرحلة الأولى بالمدارس الروسية، ودراسة نعيمة في جامعة "بلتافا" وإطلاعه على نتاج الأدباء الروس أمثال " جوركي ، وبيلنسكي، وبوشكين، وتكراسوف، وقد استمد نعيمة من الأدباء الروس والنقاد أشياء كثيرة أثرت في تفكيره فيما يعد " فبيلنسكي " الناقد الروسي كشف له عن مواطن الصدق والقوة، والخير والجمال في العمل الأدبي وعن سمو وظيفة الأديب، إذا هو أحسن تأديتها بالنسبة إلى نفسه وإلى الحياة وإلى الذين يقرأونه ³.

فقد استفاد نعيمة من نتاج الأدباء الروس والنقاد ونسج على منوالهم، كما تأثر نسيب عريضة بالأدب الروسي بعد أن قرأه وترجم بعض القطع النثرية والشعرية من الأدب الروسي، «وتأثر شفيق المعلوف ورياض المعلوف وفوزي المعلوف بالأدب البرتغالي، وألفوا بعض دواوينهم بالبرتغالية، ويترجمون بعض القصائد، ويكتب شفيق المعلوف

¹ - فضل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 59 .

² - حلمي بدير، الشعر المترجم وحركة التجديد في الشعر الحديث ، ط2، القاهرة : 1991 ، دار المعارف ، ص 192 .

³ - صابر عبد الدايم ، أدب المهجر ، ص 228

عن جسور الاتصال بين العرب والغرب، وعن الأدب الفارسي، وعن الأدب الهندي مما يدل على ثقافة متمكنة .. ولا شك أنه تأثر بهذه الاتجاهات التي كتب عنها»¹.

لقد أحاط المهجريون بالكثير من ثقافات الغرب وأمريكا، وألموا - مع العربية باللغات الإنجليزية، والروسية، والبرتغالية، والفرنسية- وكان حظ شعراء المهجر من الانتفاع بالشعر الأمريكي غير قليل، وقد وقفوا بين روح الشرق وروح الغرب موقف المؤمن بالتراث والمستفيد من كل جديد، فكثرت في شعرهم معاني الحرية والدعوة إلى الإخاء والمساواة، ووقف بعض المهجريين من القديم والجديد موقفا وسطا وتوسطوا في الأمرين التجديد والتقليد، فلهم كلاسيكية حافظ وشوقي ... ولهم رومانسية حالمة مجددة، ورمزية وسريالية كذلك، ينزعون نحو المذاهب الغربية في الأدب والشعر والفن.

وقد كان للمؤثرات السابقة دور في إفادة الأدب المهجري وتطويره، فقد أكسبته خبرة واسعة جعلته يرقى إلى مستوى عال في الفكر والتعبير، خاصة مع ما تمتع به هؤلاء الأدباء الذين هاجروا من بلادهم من مواهب قوية وعقول قادرة على التلقي والإبداع، وعلى الرغم أن الشعراء تعمقوا في الآداب الغربية واستمدوا منها بعض صورهم، لكنهم لم يذوبوا فيها، بل ظلت لهم شخصيتهم العربية المستقلة .

ثانيا : الشعر المهجري وخصائصه

1: الشعر المهجري

للشعر أثر كبير في تاريخ الحياة الإنسانية، وذلك بما أفادها بنغماته السحرية الجميلة وموسيقاه الناطقة المؤثرة، وإذا كان العلم يعطينا مددا نافعا وفوائد جليلة، فإن الشعر يمنحنا هبة أعظم شرفا، لأنه يترجم عن عواطف الإنسان، محاولا أن يوقظ

¹ -صابر عبد الدايم ، أدب المهجر ، ص 230 .

عواطف الآخرين ليصلهم بالحياة، وقد تناولت العديد من الكتب والمعاجم مفهوم الشعر، ومن ذلك :

لغة : جاء في لسان العرب « شعر : شعر به، وشعر يشعر شعرا وشعورا، وأشعره الأمر وأشعره به : أعلمه إياه، وفي التنزيل قوله تعالى : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾¹ أي وما يدريكم، وأشعرته فشعر، أي أدريته فدرى، وشعر به : عقله، وشعر لكذا إذا فطن له، وقيل شعر : قال الشعر، ورجل شاعر، والجمع شعراء، فالشعر مشتقة من شعر يشعر شعرا، وأشعرته : أي أعلمته، وأدريته، وشعر أي فطن.

اصطلاحاً : عرف ابن منظور الشعر وقال : « والشعر منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية ... وقائله شاعر لأنه يشعر ما لا يشعر غيره، أي يعلم »². فالشعر هو الكلام المنظوم الذي يعتمد الوزن والقافية على عكس النثر .

وقد حاول العلماء والنقاد أن يعرفوا الشعر بما يميزه عن غيره من فنون القول، فالشعر عند قدامة بن جعفر هو قول موزون مقفى يدل على معنى، وقال ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة: «الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي : اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حد الشعر، لأن من الكلام موزوناً مقفياً وليس بشعر، لعدم القصد والنية، كأشياء اتزنت من القرآن، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر»³. والمتأمل في هذه التعريفات لعلماء

¹ - سورة الأنعام ، الآية (109)

² - ابن منظور ، لسان العرب ، ط3 ، بيروت : 1999 ، دار إحياء التراث العربي ، الجزء السابع ، باب الشين ، مادة (شعر)

³ - أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط5 ، 1981 ، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، الجزء الأول، ص 199

المعاجم والنقاد يجد أنّ هناك إجماعاً على أهمية الوزن والقافية والمعنى وتقرّد الشعر بهذه الميزات .

والشعر العربي كما هو معروف قد تطور مع النهضة الأدبية الحديثة، والحديث عن الشعر العربي الحديث، يحيلنا إلى شعر مدرسة المهجر وهي مدرسة لها سماتها وخصائصها المميزة، فشعراؤها لعبوا دوراً أساسياً في النهضة الشعرية التي عرفها العالم العربي مطلع القرن العشرين، بل إنهم كانوا رموز هذه النهضة وصانعيها، ويمكن القول أنّهم كانوا مجددين حقيقيين، أتاحوا للشعر الانفتاح على التجارب الأدبية الريادية، حتى الغربية منها، وقد عاش هؤلاء تجارب مهمة على جميع المستويات، أتاح لهم أن يلعبوا هذا الدور التجديدي، وأن يضعوا النهضة الشعرية في عالم عربي كان لا يزال يعيش التخلف والبؤس، بالإضافة إلى الاحتلال الأجنبي، فقد تركوا أوطانهم في فترة مبكرة من حياتهم نظراً للأسباب السابقة الذكر.

لقد كان الشعراء العرب قبل المهجريين يتبارون في تقليد القدماء ومحاكاتهم، فلما ظهرت مدرسة المهجر تطلعت إليها الأبصار مندهشة، لأنها تحرّرت من عبودية التقليد ونفضت عن أقلامها غبار الجمود، وحرّرت ألفاظها من القيود، وشحنت قصائدها بطاقة جياشة من الأحاسيس والصور والمشاعر والأخيلة، فجاءت على سجيّتها رائعة فتانة، كثيرة التجديد والابتكار»¹. وفي هذا الصدد يقول أنس داود : « أن المهجريين دعوا إلى التجديد، نابذين الأغراض القديمة، مؤكدين على ضرورة الصديق النفسي في الشعر، وقيمة الثقافة في تكوين الشاعر وتعميق رؤيته في الحياة، وفي أن يكون الشعر إفشاء ذاتياً أو انعكاساً لعالم الشاعر الداخلي، وبذلك بعدوا به عن تناول العالم تناولاً موضوعياً، كما بعدوا به عن الأغراض التقليدية، فانفسحت بذلك مجالات الرؤية الشعرية لهؤلاء، وعكفوا على استبطان العالم الداخلي

¹ - خليل برهومي ، إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال ، ص 49

للإنسان، وعلى اكتشاف قيم الحب والخير والجمال في المجتمع وفي الطبيعة»¹،
ويضيف قائلاً: «وكما جددوا في مجال التجربة الشعرية جددوا في وسائل الأداء،
وفي هيكل القصيدة العام، وفي طابعها، فحاولوا أن يكون الطابع القصصي بما فيه
من حكاية وحوار سمة بعض نتاجهم الفني»².

وقد دفعهم إلى ذلك ما اختلج في نفوسهم من مشاعر الغربة والحنين إلى الأوطان،
فأفاضوا في التعبير عن نزعاتهم في منحى أوفر حرية، حتى أنهم في أساليبهم لم
يبالوا ما تواضع عليه علماء العربية وأدباؤها من الأصول والقواعد كل المبالاة .

«ويتسم الشعر المهجري بعامة؛ شماله وجنوبه بهذه الحرية في التعبير وبالتأمل في
الكون، وفي الإنسان كفرد في المجتمع، وفي الطبيعة، وفي حقيقة الوجود والبحث
عنها، وفي النزعات التصوفية عند اشتداد الأزمات النفسية»³، كما أن شعراء المهجر
ثاروا على تقاليد الأدب العربي القديم، وعلى اللغة، كما ثاروا على العروض والأوزان
ثورة عنيفة خاصة شعراء الرابطة القلمية في المهجر الشمالي، ومن ذلك يقول إيليا
أبو ماضي في قائمة ديوانه الجداول :

لست مني إن حسبت الشعر ألفاظا ووزنا

خالفت دربك دربي وانقضى ما كان منا⁴

ومن الواضح الذي لا يدعو إلى الشك أن الشاعر يريد أن يقول أن الشعر ليس
ألفاظا وأوزانا، وإنما هو روح ومعنى، وبهذا يكون قد اختلف عن مدرسة المبنى.

¹ - أنس داود ، رواد التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص 66

² - المرجع نفسه ، ص 67

³ - عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث ، ص 236 .

⁴ - من أعمال الشاعر إيليا أبي ماضي (الجداول) ، ص 09 .

ويرى عيسى الناعوري أنّ حركة التجديد في الشعر المهجري كانت امتداداً للإنبلاقة الأندلسية الشعرية، التي ظهرت في موشحات الأندلسيين وتمثل هذه الحركة في رأيه مرحلة العمق والبساطة في الشعر العربي، وجعل الشعر فنّاً يعبر عن خلجات النفس ونوازع الحياة، دون افتعال أو زخرفة لفظية، وقد ساعد على إيجاد هذه الحركة الجو الجديد الذي عاش فيه شعراء المهجر، والآداب الغربية التي اتصلوا بها وبأصحابها، والحرية الواسعة التي امتلأت بها نفوسهم، وبواسطة اطلاعهم على الشعر العالمي في مختلف اللغات استطاعوا أن يجمعوا بين قوة المعاني وصدق التعبير، وبراعة الصور، وبساطة الصياغة، وموسيقيتها وإلى جانب الشعر الكلاسيكي المحافظ الذي أغنوه بجمال المعاني الجديدة، جاءوا بشعر جديد آخر جميل غني بالموسيقى والألوان والصور الحية البديعة، وقد أشار الدكتور الناعوري إلى صنع شعراء المهجر في أوزان الشعر وموسيقاه، وإلى تلاعبهم بالتفعيلات، وإثارة بعضهم بناء القصيدة على تفعيلة واحدة، وإلى تنوع القوافي في قصائدهم، وإلى أثر هذا في بناء موسيقى الشعر، ويرى أنّ صنيعهم هذا حفظ للشعر العربي موسيقيته الفنية¹.

والتححرر في صياغة الشاعر والتعبير عن الأفكار في الشعر المهجري أكثر، ما يكون في شعر نسيب عريضة، وميخائيل نعيمة، وأبي ماضي ورياض المعلوف، وقد تمثل هذا التححرر في تجديدهم لهيكل القصيدة، حيث لم يتمسكوا أحياناً بالتفعيلات والبحور وقواعدها الموروثة فنسيب عريضة في قصيدته " النهاية " يقول ساخراً من استسلام أهل وطنه للمستعمر الغاشم :

كفنوه

¹ - ينظر ، عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 327 .

وإدفعوه

أسكنوه

هوة اللحد العميق

واذهبوا لا تتدبوه

فهو شعب ميت ليس يفيق

هتاك عرض

نهب أرض

قتل بعض

لم تحرك غضبه

فلماذا نذرف الدمع جزافا؟¹

فالشاعر في هذه القصيدة يلتزم بالتفعيلة فقط، ولم يتمسك بشطري البيت أو مجزوء بحر الرمل ... وإنما ترك إحساسه يصوغ موسيقاه .. وقد تطور فيما بعد هذا النوع من الشعر وأطلق عليه اسم الشعر الحر أو " المرسل "، ولم يقتصر تصرف المهجريين في شعرهم على الهيكل الخارجي، وإنما حولوا التصرف في المواد الخام لأعمالهم الفنية، فعمدوا إلى استحداث ألفاظ لم ترد في الشعر العربي، كاستخدام بعضهم الألفاظ العامية، وذلك رغبة منهم في التجديد، وبث روح جديدة في الشعر العربي الحديث، وانتشاله من التقليد.

¹ - عبد الهادي عبد الله عطية، ملامح التجديد في موسيقى الشعر العربي، الإسكندرية : 2002 ، مكتبة بستان للطبع والنشر وتوزيع الكتب ، ص 67

2 : خصائص ومميزات الشعر المهجري :

يعتبر الأدب المهجري بشكله العام تحولا بارزا في تاريخ الأدب العربي، فهو نتاج مرصع بالجمال والرقّة والعذوبة، والذي خلفه الكتاب والشعراء اللبنانيون والسوريون، الذين رحلوا عن وطنهم، وقد تميز الأدب المهجري عموما والشعر منه على وجه الخصوص بسمات ميزته عن غيره، جعلته يتبوأ مركزا مرموقا في نهضتنا الحديثة، حيث جال الشعراء المهجريون في الفن، وقالوا في كل غرض، وفاض شعرهم بمختلف النزعات. « لقد نظم المهجريون في الحرية، وفي الفخر بالشرق والغرب، وفي الابتهاال إلى الله، وتقديس أنبيائه، وفي الكفاح في سبيل الحياة، وفي وصف الطبيعة، وفي الحيرة والتساؤل والتأمل، وفي البكاء والألم، ونظموا القصة الشعرية وابدعوا في الحنين إلى الوطن، وغلب على شعرهم الطوابع الآتية :

1-الطابع العاطفي : الذي يتجلى في رقة العاطفة ما بعدها من رقة، حيث الشوق والحنين إلى الوطن البعيد .

2-الطابع الروحي : ويتمثل في مناجاتهم الله، وحبهم للطبيعة، وهيامهم بالجمال .

3-الطابع التأملي : كما في " الطلاس " لأبي ماضي وغيرها .

4-الطابع القومي : مما يتراءى لنا في وطنيات أبي شادي والقروي وفرحات .

5-الطابع الإنساني : وهو كثير في شعرهم¹

وقد تميزت مدرسة المهجر بعناصر حيّة تتلخص في تسع مزايا كبرى : اثنان منها في القالب التعبيري وهما :1-التحرر التام من قيود القديم 2-الأسلوب الفني والطابع

¹—محمد عبد المنعم خفاجي ، حركات التجديد في الشعر الحديث ، ص 188

الشخصي المميز، والسبع الباقية هي في الموضوع، أو جوهر العمل الأدبي وهي :
1-الحنين إلى الوطن 2-التأمل 3-النزعة الإنسانية 4-عمق الشعور بالطبيعة 5-
براعة الوصف والتعبير 6-الغنائية الرقيقة في الشعر 7-الحرية الدينية .

***القالب التعبيري :**

1-التحرر من قيود القديم : « ظهرت المدرسة المهجرية بخصائصها الجديدة وعناصرها الحية ، وثورتها الجريئة على كل قديم لا يصلح للحياة ولمسايرة العصر، فتطلعت إليها الأبصار دهشة، فرأت فئة من ذوي الأقلام الفتية الخلاقة قد تحررت من عبودية التقليد، ونفضت عنها مذلة الجمود على ما اصطاح عليه الأقدمون من أساليب وتعايير، وحررت إنتاجها الأدبي من قيود الألفاظ، وجعلته يسير في موكب الحياة كما تسير الحياة نفسها، الحياة المتجددة المتطورة دائما»¹.

فبينما كان الأدب العربي الحديث يسير على نمط الأساليب والتعايير القديمة، وكان الكتاب يبذلون قصارى جهدهم في تقليد القدماء في أساليبهم وأفكارهم، ظهرت مدرسة المهجر بخصائصها الجديدة وحررته من قيود القديم، ودعت إلى التجديد في القالب التعبيري .

2-الأسلوب الفني والطابع الشخصي : « والذي نراه واضحا جليا في أدباء المهجر أن لكل منهم طابعه الخاص المميز، بالرغم من أنهم يغرفون من معين واحد ويسعون لغاية واحدة، أو غايات متقاربة، فهم يعبرون عما بداخلهم أولا، ويتأثرون بما يحيط بهم ثانيا، يتفاعلون مع الطبيعة تفاعلا غريبا، ويشعرون بالحنين إلى أوطانهم شعورا عاصفا جامحا، ويبحثون عن حقائق الحياة الكبرى بحثا حثيثا، ولكن بالرغم من كل

¹ -عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 71

ذلك يختلف ميولهم وأهوائهم، وتتميز شخصياتهم، وتتفاوت خصائصهم الأدبية، بحيث يظهر كل منهم مستقلاً عن الآخرين»¹.

فكل أديب أو شاعر مهجري يتميز بطابعه الخاص في التفكير أو في التعبير، وتظهر فيه شخصية صاحبه قوية بخصائصها، على الرغم من اغتراف جميع الشعراء من مناهل واحدة، وسعيهم إلى غاية واحدة في أغلب الأحيان .

***في الموضوع أو جوهر العمل الأدبي :**

1-الحنين إلى الأوطان : « يحن الإنسان إلى أرضه ووطنه مهما عاش في حرمان وبؤس، وعانى من الظلم والجوع والفاقة، وخير دليل على ذلك هؤلاء المهاجرون إلى بلاد الدنيا الجديدة، وقد كسبوا المال والجاه والشرف، ولكنهم يحنون أبداً إلى أوطانهم، ويتحسّرون على ما يجري فيها من مصائب ونكبات وعدوان»²، والحنين إلى الوطن في شعر العرب أكثر ما نجده في شعر المهجر الأمريكي، « فحنين المهجريين إلى الوطن ليس له حدود، وهو حنين صادق لاجع ، يصاحبه الشعور الجياش المتفجر والمتدفق بالعاطفة المشوبة، المجنح بالشاعرية والإبداع والعذوبة»³.

لقد أضرم الاغتراب حنين المهجريين، «فجعلوا يحنون إلى الشرق الذي مازال يرسف في قيود المذلة والهوان، ويتمنون له الحرية الكاملة ليتسنى له أن يحتضن أبناءه من جديد، وفي هذا الحنين أنتج لنا المهجريون شعرا رائعا عبقريا، سيبقى زعرودة في فم الأيـــــام، لما ينصح به من حنين مشـــــــــــــــــبوب ووجد صادق، وما يزخر به من عاطفة محتدمة وخيال ساحر»¹؛ وكان

¹ - خليل برهومي ، إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال ، ص 49 .

² - يحيى الجبوري ، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، ط1، عمان : الأردن، 2008 ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ص 5 .

³ - خليل برهومي ، إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال، ص 49 .

¹ - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 80

الحنين إلى الأوطان بارزا عند شعراء المهجر بشقيه الشمالي والجنوبي، لأنهم اكتتوا
بنار الغربة المحرقة، ففاضت قرائحهم بشعر ساحر يتغنى بجمال موطنهم الشرقي "
فنسيب عريضة" شاعر الحيرة الأكبر بين المهجريين يحن إلى مدينته " حمص "
فيناجيها في قصيدة له بعنوان " أم الحجار السود " قائلا:

يا جارة العاصي لديك السؤدد لبنان دونك ساجد متعبد

هو عاشق من دمه له مورد وارجمنا لمتيم مصفود

يسقى الهوى من قلبه الجلمود

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن هل عودة ترجى وقد فات الظغن

عد إلى حمص ولو حشو الكفن واهتف أتييت بعائر مردود

واجعل ضريحي من حجار سود²

فالشاعر يصور لنا حنينه إلى موطنه الأصلي، ولوعته وشوقه لأهله، وتألمه لذلك
راجيا العودة إلى بلده ولو في كفن أي ميت، وأن يدفن في ضريح من حجار بلده،
إلى غير ذلك من نماذج الحنين إلى الأوطان لدى الشعراء المهجريين .

2-التأمل : « إن التأمل هو المنهج الذي اتخذته الأدب المهجري، وحلّق في آفاقه،
فقد أطال المهجريون النظر في ذواتهم، وما حولهم من الكائنات شأن الفلاسفة
الروحيين، وانشغلوا بما انطوى في أعماق النفس من المخبآت والودائع وانشغلوا
بمشاكل الوجود، وقضايا الفناء والخلود»³.

² - المرجع نفسه ، ص 84 .

³ - صابر عبد الدايم ، أدب المهجر ، ص 235

فمن الطبيعة والنفس انبثق مفتاح التأمل الذي شمل كثيرا من مناحي الحياة وشؤونها كالنفس والوجود، والبحث في أسرارها، وما يتعلق به .

والنزعة التأملية المهجرية تنطوي على عمق ورحابة وشمول، وقوة حيوية وجمال، وتبرز هذه النزعة في أدب الرابطة القلمية بنوع خاص، ويشاركها في ذلك المهجر الجنوبي بأقلية، ومؤلفات المهجريين تعطينا دليلا أكيدا على مدى اتساع الرؤية التأملية عندهم، ومن ذلك شعر أبي ماضي التأملي إذ يقول في الطلاس :

جنّت لا أعلم من أين ، ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا ، فمشيت

وسأبقى سائرا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جنّت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟ لست أدري¹

فالشاعر يتأمل الوجود، ويبحث عن حقيقته، وهذا دليل على حيرته حيال الوجود ويتساءل عن نشأة الحياة وسر الوجود .

وهكذا نرى « بأنّه بهذا النوع من الأدب التأملي، ولا سيما ما كان منه متسرّبا أثواب الشك الحائر، الباحث عن الحقائق الصريحة خلف ما يكنفها من أوهام وخرافات، يمتاز أدب المهجريين الذي تحرّر من قيود القديم، وتجرد عن قيود المادة، وحلق في أجواء حرة سامية يكتشف المجهول، ويستنطق الغيب، ويحلّل الأشياء ويعلّلها، ليصل إلى حقائقها الخالدة، وهو أدب أفاضته أرواح حرة، ورتّلتها ضمائر صريحة، لا تجد ما يحدها ويكبّلها دون البحث عن الحقيقة»²، فالتأمل في أسرار الحياة وما وراءها،

¹ - إيليا أبو ماضي ، الديوان ، ص 191

² - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 92

وصل بالكثير من الشعراء إلى الشك غير أن هذا الأخير يتطلع إلى تحقيق مثل إنسانية خالدة لا تتطرق إليها الشكوك .

3- النزعة الإنسانية : تتسع نزعة المهجرين التأملية، « فتشمل الحياة الإنسانية، والتطرق إلى الحياة والوجود والمجتمع البشري ككل، وهي الحلم الأكبر الذي كان يراود أحيلة المفكرين والفلاسفة والشعراء، ومن معاني الإنسانية نشر المبادئ السامية والمثل العليا ومحاربة النظم الفاسدة، والعمل على إنشاء المجتمع الإنساني الأمثل، الذي تسوده المحبة والرحمة والعدل، وتخفيف الشقاء عن بني الإنسان، ومحبة الوجود وكل ما هو موجود دون تفریق أو تميز»¹.

لقد تميز الأدب المهجري بنزعة الإنسانية، التي تحمل في طياتها أسمى معاني الإنسانية من محبة ورحمة، ونشر المبادئ والمثل العليا، وهدفها هو سعادة البشرية جمعاء. وتتجلى لنا الإنسانية في أشعار المهجرين الشماليين والجنوبيين، والذي يقرأ شعر المهجرين ونثرهم، يقف بجلاء على مدى تغلغل الروح الإنسانية في أدبهم فمن ذلك يقول إيليا أبي ماضي في قصيدته " ابتسم " :

قال: السماء كيئة وتجهما قلت ابتسم يكفي التجهم في السما

قال : الليالي جرعتني علقما قلت : ابتسم ولئن جرعت العلقما

فلعل غيرك إن رآك مرنما طرح الكآبة جانبا وترنما²

فالشاعر يفيض قلبه بالعاطفة، والروح الإنسانية تبدو متغلغلة في أعماقه، حيث يسعى لنشر المحبة، والتقاؤل ويدعو إلى حب الوجود ونبذ التشاؤم .

¹ - خليل برهومي ، إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال ، ص 51 .

² - عيسى الناعوري أدب المهجر ، ص 95 .

4-حب الطبيعة : « كثر شعر الطبيعة عند المهجريين، وقد كان لجوؤهم إلى الطبيعة لنفورهم الشديد من ضجيج الحياة المادية وصخبها، وعدم قدرتهم على التلاؤم مع تلك الحياة، لما فيها من تعقيد شديد، وهم في ذلك كله تغلب عليهم روح الاتجاه الرومنسي الذي تأثروا به كل تأثر»¹.

فشعراء المهجر من عشاق الطبيعة، حيث أنّ شعر الطبيعة عندهم يندمج فيه الشاعر بالطبيعة ويشعر بها، ويمتزج بمظاهرها ويعبر عن كل ما في نفسه من أحاسيس ومشاعر في مشاهدتها المختلفة، ويبتّون همومهم وأحزانهم وأشواقهم داخل وعاء الطبيعة، « وهي توحى إليهم بالحنين، إذ تذكرهم بما كانوا يجدونه من جمالها الفتان في ربوع بلادهم وتوحى إليهم بالتأمل العميق في أسرارها»².

وقد كان للغاب الحظ الوافر في شعرهم، حيث أنّهم يحنّون إليه ويرون فيه الحياة المثالية لبساطتها، «والحنين إلى الغاب هو التعبير الصادق عن رجاء السعادة في نفس كل إنسان، فالغاب عند المهجريين هو رمز البساطة والجمال»³.

كما كان الغاب مسيطرا على جل شعر المهجريين كإيليا أبي ماضي وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة وجبران خليل جبران، هذا الأخير أراد أن يحدّد الغاب وطبيعة الحياة فيه فإذا هي المطلق اللامحدود، ينحصر في حدود صغيرة، في ضيعة لبنان، في منظر طبيعي واحد وإذا الغاب نقيض القصور، ملئ بالسواقي والصخور، يضحك فيه الفجر وتتدلى العناقيد من أعنابه، وإذا الغاب المجرد هو الطبيعة الجميلة يقول :

هل اتخذت الغاب مثلي منزلا دون القصور

¹ - أحمد عوين ،الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ، تقديم :سعيد حسين منصور ،ط1 ، الإسكندرية

2001، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص 83 .

² - عيسى الناعوري ،أدب المهجر ص 98 .

³ - المرجع نفسه ، ص 100 .

فتتبع السـواقي وتسـلقت الصـخور
 هل تحمّمت بعـطر وتتـشقت بنـور
 وشربت الفجر خمرا في كؤوس من أثير
 هل جلست العصر مثلي بين جفـات العـنب
 والعـناقيد تدلّت كـثـريّات الذهب¹

فالشاعر يصف طبيعة لبنان الجميلة، ويتذكّر أيام الصبا، وأن حياة الغاب أجمل من حياة القصور، حيث التمتع بالسواقي، والتسلّق على الصخور، والعيش بين عطور الأزهار، ومنظر بزوغ الفجر الجميل، والجلوس في ساعات العصر متمتعاً بعناقيد العنب التي تشبه الثريات الذهبية .

5-البساطة في التعبير والرقّة الغنائية : « كان الكبار الممتازون من شعراء المهجر يتغنّون من بعيد بشعر رقيق الألفاظ لا أجراس فيه ولا طبول، سواء أطل فيه النفس أو قصر وسواء أكان في مواضيع غنائية وجدانية، أم في مواضيع اجتماعية أو تأملية أو سواها»².

فشعر المهجريين كان يتميز برقة ألفاظه وغير متكلف من ناحية العروض واللغة، فهو يعتمد على البساطة والرقّة .

« ولم يكن ذلك عن ضعف أو هرباً من تكاليف الشعر، فقد رسخ في عقيدتهم أنّ الشعر فن للحياة، لا تكلف فيه ولا تقليد ... وصحّ في مذهبهم أنّ البساطة والرقّة والغنائية هي عماد الجمال في الشعر والفن »³. وهذا ما سهل وصول شعرهم إلى

¹ -محمد أحمد ربيع ، في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ص 69

² -عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 103 .

³ - المرجع نفسه ، ص 104

نفوس القراء في الشرق وفي المهجر على السواء، لأنهم استحسنوا بساطة التعبير ورقته، وأصبح سائدا في العالم العربي، ومن أمثلة ذلك قول أبي ماضي في قصيدة له بعنوان " شاعر الشهور ":

أيار، يا شاعر الشهور	وبسمة الحب في الدهور
وخالق الزهر في الروابي	وخالق العطر في الزهور
وغاسل الأفق والدراري	والأرض ، وبالنور والعبير
أتيت فالكون مهرجان	من اللذات والحبور
أيقظت في الأنفس الأمانى	والابتسامات في الثغور
وكدت تحي الموتى البوالي	وتنبت العشب في الصخور
وتجعل الشوك ذا أريج	وتجعل الصخر ذا شعور
فأينما سرت صوت بشرى	وكيفما ملت طيف نور ¹

وظاهر من هذه الأبيات المقتطفة أنه ليس حتما أن يتجرد الشعر من الوزن الواحد والقافية الواحدة لكي يكون غنائيا رقيقا، وإنما الأصل فيه جمال الخيال، وبساطة التعبير والذوق المرفه، الذي يعرف كيف يضع اللفظة الشاعرة المعبرة، دون تكلف أو جهد، فكثيرة هي القصائد ذات الوزن الواحد والقافية الواحدة لدى أبي ماضي، ولكنها رائعة في غنائيتها، وفي رقة ألفاظها وتعابيرها، وغنية بالخيال والجمال والتعبير الشعري المباشر، دون أصباغ ومساحيق².

¹ - إيليا أبو ماضي، الديوان ، ص 369

² - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 106

6- الحرية الدينية : « هي إحدى الأركان في المدرسة المهجرية، سواء كانت في المعتقدات الفكرية والمذهبية والاجتماعية، أم في التعبير وفن البيان، فقد قام المهجريون بنشر التسامح والتسامي في الدين، ودعت إلى الحرية في التفكير والتعبير، والمناقشة لشؤون المعتقد، بعيدا عن التعصب الأعمى أو الطائفية البغيضة التي نشأ أهلهم عليها في الوطن، وكانوا يؤمنون بأنهم يجب أن لا يتفرقوا بالمذهب أو يختلفوا في أمور الدين، ما داموا هم إخوة في العروبة يجمعهم لسان واحد وموطن واحد»¹.

فالحرية الدينية عامل عظيم التأثير، وركن مهم جعلت الأدب المهجري عموما، والشعر خصوصا يظفر بميزة خاصة، وذلك بما تنشره من معاني التسامح في الدين والدعوة إلى الحرية في مختلف المعتقدات، رغم اختلاف مذاهب الشعراء الدينية.

ومن الشعراء المهجريين الذين كان لهم رأيهم الصريح في الدين، جبران خليل جبران، وأمين الريحاني، وميخائيل نعيمة، والشاعر القروي، وإلياس فرحات وغيرهم " وإذا بحثنا عن الدين لدى إيليا أبي ماضي وهو مسيحي في أصل معتقده مثل جبران والريحاني ونعيمة - وجدناه مثلهم من حيث الحرية الفكرية التي لا تؤمن بمذهب يقيم الحدود والفوارق بين الإنسان والإنسان ، بل يدعو إلى التسامح والتسامي في العقيدة ، وإلى التشبه بالطبيعة التي لا مذاهب فيها ولا طوائف يقول :

فديني كدين الروض يعبق بالشذا ولو لم يكن فيه سوى اللص منسلا

فكم هش للأنسام والنور والندى وآوى إليه الطير والذر والنملا

وديني الذي اختار الغدير لنفسه ويا حسن ما اختار الغدير وما أحلى

¹ - خليل برهومي ، إيليا أبو ماضي ، شاعر السؤال والجمال ، ص 52 .

تجيء إليه الطير عطشى فترتوي وإن وردته الإبل لم يزجر الإبل¹

فهؤلاء المهجريون يؤمنون بالله، ويدعون إلى الإيمان به، لكنهم لا يرونه بعيون المعتقدات المذهبية التي نشأوا عليها، ... فالتسامح الديني، والحرية الفكرية، هما المذهب الذي ينتمون إليه ويدينون به .

7- **براعة الوصف والتصوير** : « لما ظهرت المدرسة المهجرية اعتمدت إلى حد كبير على جمال التصوير في الشعر والنثر على السواء، ولكن على مدى كبير من رحابة الأفق الإنساني، ودقة الإحساس بشتى نواحي الحياة والمجتمع، مع عمق وحيوية عظيمين، والمدرسة المهجرية تمتاز بهذا كله عن سائر عصور الأدب العربي الماضية، ذلك لأنها كانت بداية موفقة كل التوفيق لصحة إدراك معنى الأدب والشعر، وصلتهما بالحياة والطبيعة، وارتباطهما بالفن والجمال وتقدير القيم الأدبية والفنية الصالحة للحياة² .

فبراعة التصوير في الشعر المهجري ميزة من ميزاته الجميلة، تغطي عليها عناصر الرقة واللفظ والجمال وتترك في النفس آثار عميقة، فشعراء المهجر جمعوا بين العاطفة الجياشة والفكر الموجه، وعمق التجربة، والخيال الرحيب، مما ميّز الشعر المهجري عن غيره من الأشعار، ومن هذه الصور الجميلة والتصوير البارع، شعر أبو ماضي الذي نطالع فيه سلاسل متواصلة الحلقات من الصور الفواتن، يستمدّها الشاعر من الحياة والطبيعة، ويخلع عليها من شعوره العميق، ومن خياله الخصب فنونا من الفتنة والبهاء، وذلك في مختلف قصائده، ومن ذلك قوله :

دمية حسناء تغري النظرا أم ملاك طاهر فوق الثرى

¹ - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 119

² - المرجع نفسه ، ص 123

طفلة ساذجة أظهر من زهرة الروض وأنقى جوهر

شرفت أصلا وطابت عنصرا وارتقت نفسا ، وراقت منظرا

حملت قلبا أبى أن يحمل الحقد أو يكتم نفسا كدرا

تجهل البشر ولا تحسن أن تخدع الغير ولا أن تغدرا

إنما الدنيا لديها كلها أبواها وهما كل الورى¹

لقد أجاد شعراء المهجر في رسم الصور الشعرية البارعة التي تدهش القارئ بعمق إحساسها وخصب خيالها، وإبداع تصويرها، مما أثرى على الشعر حيوية دافقة في مختلف الفنون والأغراض الشعرية .

ثالثا : التجديد والتقليد بين الرابطتين

جمعت الغربة والبيئة الجديدة وقاربة الفكر، بين شعراء المهجر الأمريكي، الرابطة القلمية في الشمال، والعصبة الأندلسية في الجنوب، فالتقوا جميعا على صعيد الإنسانية الفسيحة ومثلها العالية، إخوانا متحابين، « وقد تقاربت أهدافها من حيث أن كلا منهما تهدف إلى جمع شمل الأدباء، والشعراء العرب في المهجر، والعمل على المحافظة على الكيان العربي هناك، وإعلاء صوت العربية، والتركيز على القضايا العربية في الخارج، وإطلاع العالم كله على نتاج الفكر العربي الأدبي هناك»². على أنه توجد فوارق بين المهجريين تتمثل في مظاهر التجديد والتقليد بينهما، «ولقد كان شعراء الرابطة القلمية أكثر إسرافا في التجديد والدعوة إليه، وتوزعت آراء الشعراء في الجنوب بين التجديد والتقليد، وهكذا مثلت العصبة الأندلسية موقف المحافظ المعتدل المتطلع ببصره تارة نحو القديم وأخرى نحو

¹ - إيليا أبي ماضي ، الديوان ، ص 438

² - نعيمة مرّاد محمد ، العصبة الأندلسية ، هجرة الأدب العربي إلى البرازيل ، ص 117

التجديد»¹؛ ففي مجال الموازنة بين شعراء الرابطة وشعراء العصبة، نجد أنّ شعراء العصبة كانوا أكثر تمسكا بالقديم في حين أنّ شعراء الرابطة كانوا أكثر ثورة على التقليد ودعوا إلى التجديد، «ولقد تفاوتوا في تحرّره وثورته على تقاليد الأدب العربي القديم، وعلى اللغة، فكان المهاجرون إلى أمريكا الشمالية أشدّ ثورة من سواهم ولا سيما أبناء الرابطة القلمية»²؛ ومن مظاهر التجديد والتقليد بين الرابطتين قضية التحرر اللغوي، وكانت قضية الثورة على الشكل والمضمون بارزة عند الشماليين. «وكان من أثر الرابطة أن بلغ الشعر مرونة أكبر في اللغة والوزن والإيقاع، وتغييرا واضحا في اللهجة»³، حيث أنّ أهداف الرابطة تتمركز حول محاولة القضاء على اللغة العربية الفصحى، والخروج على قواعد اللغة وصرفها واشتقاقاتها، واستخدام بعض الكلمات العامية، حيث أنّ أهداف الرابطة تتمركز حول محاولة القضاء على اللغة العربية الفصحى، والخروج على قواعد اللغة وصرفها واشتقاقاتها، واستخدام بعض الكلمات العامية، «وهكذا قدّر للمهجر أن يتمرد، على أن يكون آلة في يد اللغة يتكيف بها ولا يكيفها... ولعل الاهتمام بالمعنى الجلي هو الذي ساق شعراء المهجر إلى التساهل في أمر اللغة والتخلي عن بعض قيودها»⁴.

أما شعراء الجنوب فرأيهم في هذه القضية، قد يكون مخالفا تماما فإنّهم أهم أهداف العصبة منذ تأسيسها، المحافظة على اللغة الفصحى، ونحوها وصرفها، وفي نظرهم أنّ التفكير الجديد لا يستدعي أسلوبا جديدا، ولا يقتضي الخروج على اللغة فحافظوا على قواعد اللغة وألفاظها وصورها، مؤكدين بذلك على أنّ التجديد يكون في الفكر والخيال وابتكار صور جديدة، وأن هذا لا يقتضي تغيير الأسلوب.

¹ - محمد عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث، ص 186.

² - عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ص 233.

³ - سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة

ط2، بيروت: 2007، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 168.

⁴ - محمد حسين الأعرجي، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، القاهرة، عصمى للنشر والتوزيع ص193.

ومن أميز ما اتسم به أدب العصبة الأندلسية، «أنهم ترسموا أساليب الفصحى وتقيدوا بأحكامها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، كما أنهم جالوا في مضمار التجديد صامدين بأدبهم دون فوضى التجديد»¹.

فشعراء العصبة اهتموا باللغة العربية وحافظوا عليها وعلى أصولها بقوة وروعة، غير أنّ هذا لا يعني أنهم كانوا رافضين لفكرة التجديد كلية، إنّما كانوا يشترطون على المجدد أن يكون مجددا بوعي وثقافة، لا أن يكون فوضويا يحطم دون أن يضع قاعدة للبناء .

ومظهر آخر ننتقل إليه، يتمثل في موسيقى الشعر، «وكما حاول المهجريون الشماليون تحطيم اللغة تحت اسم التجديد، حاولوا أيضا أن يحطموا الشكل التقليدي للقصيدة بأوزانه وقوافيه، وقد أقام ميخائيل نعيمة في غرباله حملة شعواء على بحور الخليل، وعلى قوافيه مدّعا أنّها لم تعد قادرة على القيام بدورها أو التعبير عن حاجيات العصر»². وهذا ما جعل الشعراء يبتدعون ما يسمى الشعر المنثور، «وهو محاولة لسياقة المعاني الشعرية على نمط جديد يختلف عن القصيدة العربية الاتباعية الكلاسيكية في ناحيتين : الأولى التحرر من الوزن والقافية، والأخرى وحدة الموضوع وتسلسل فقراته تسلسلا نفسيا متدامجا لا افتعال فيه ولا استطراد»³، كما نظم بعض المهجريين الشعر المرسل والشعر الحر، فأما الأول فهو موزون ولكن لا يتقيد بقافية، والثاني لا يتقيد بقافية ولا وزن، والنثر الشعري أو الشعر المنثور، فإنّه جامع بين النثر والنظم، ومن كلام جبران في هذا النوع من النثر الذي سماه شعرا منثورا، لأنه غص بكثير من الاستعارات والكنائيات والمجازات وأنواع الخيال قوله :

¹— محمد عبد المنعم خفاجي ، حركات التجديد في الشعر الحديث ، ص 181

²— نعيمة مّراد محمد ، العصبة الأندلسية ، هجرة الأدب العربي إلى البرازيل ، ص 114 .

³— محمد تيمور ، اتجاهات الدب في السنين المائة الأخيرة ، 1970 ، ملتزم للطباعة والنشر ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمامين ، ص 24

يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين

يا ليل الأشباح والأرواح والأخيلة

يا ليل الشوق والصبابة والتذكّار

في ظلالك تدب عواطف الشعراء، وعلى منكبيك تستقيق قلوب الأنبياء وبين ثنايا
صفائرك ترتعش قرائح المفكرين .

أنا مثلك يا ليل، أنا ليل مسترسل منبسط هادئ مضطرب وليس لظلمتي بدء ، ولا
لأعماقي نهاية¹.

فالشاعر هنا يناجي الليل، ونلاحظ أنّه غير موزون وغير مقفى، مما يدل على أن
الشاعر فيه خرج على تقاليد الشعر العربي القديم .

مما أثار حركة مقاومة شديدة، من الذين يؤمنون بأن الشعر موسيقى قبل كل شيء،
وتتبع هذه الموسيقى من إيقاعات منتظمة، مبررين ذلك أن موسيقى الشعر العربي
التقليدية المتمثلة في العروض الخليلي قادرة على التعبير عن أدق التجارب التي
عايشها الإنسان العربي في مختلف العصور، أما شعراء العصبية، فلم يثوروا على
العروض الخليلي، وقضية الأوزان، «فإصرارهم منذ نشأة عصبتهم على المحافظة
على الشكل التقليدي للقصيدة وعدم الجور عليه بالهدم، وكذلك عدم خروجهم على
هذا الشكل في كل شعرهم تقريبا يؤكد على حرصهم على هذا الشكل التقليدي، وأنهم
متمسكون به تمسكهم باللغة السليمة»².

ولم يؤثر هذا الشكل التقليدي على قدرات الشعراء، بل صبوا كل مشاعرهم، وأفكارهم
وتجاربهم في تلك القوالب التقليدية. « وليس معنى هذا أنهم لم يحاولوا مطلقا الخروج

¹ - عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث ، ص 230 .

² - نعيمة مرّاد محمد ، العصبية الأندلسية ، هجرة الأدب العربي إلى البرازيل ، ص 115

على هذا الشكل بل كانت لهم محاولات، إلا أنها لم تخرج عن أن تكون تنويعاً للقافية داخل القصيدة الواحدة، أو كتابة الموشحات على غرار الموشحات الأندلسية، مع إدخال بعض التطوير عليها، أو المزج بين البحور الطويلة ومجزئاتها في القصيدة الواحدة، كما فعل شفيق في عبقره، وفرحات في (أحلام الراعي)، وهكذا دون إدخال بالروح العام للشعر العربي»¹؛ أي أنّ المهجريين الجنوبيين لم يكونوا مقلدين تماماً للشعر العربي القديم، بل حاولوا التجديد ولو بشيء يسير، في حين أنّ الشماليين كان تجديدهم أوضح بكثير .

ومن بين الاختلافات بين المهجريين، نجد مظهر آخر يتمثل في وحدة القصيدة، فشعراء المهجر الجنوبي يؤمنون بها إلى حد كبير، فدواوينهم ممتلئة بالقصص الشعري، «فكل بيت وكل صورة يضيف إلى سابقة، ويمتد إلى ما سيأتي بعده، وإن كان من الممكن في بعض القصائد حذف بيت أو أكثر، ويظل المعنى مستقيماً، فإن هذا لا يمكن حدوثه في أغلب شعرهم»²؛ وذلك لأنّ أغلب موضوعاتهم تستدعي أن يتدرج فيه أسلوب العرض متسلسلاً، كما أنّ جمال القصيدة عندهم ينصبّ على وحدتها، وليس في بيت من الشعر وحده، أو لفظة من البيت وحدها، أمّا في شعر المهجر الشمالي يمكن التصرف في بعض قصائده، حيث يمكن مثلاً التقديم أو التأخير في أبيات القصيدة الواحدة منه .

- كما أنّ شعر المهجر الشمالي «يميل إلى الجانب المثالي والفلسفي في كثير منه، ويتسم بالذاتية المجنحة في أغلب الأحيان، في حين يغلب الطابع القومي والوطني والاجتماعي على شعر المهجر الجنوبي، ويقترب إيليا أبو ماضي من الجنوبيين في بعض أشعاره القومية»³. فكان أكثر ما يهّم الشعراء، هو وطنهم الذي دفعهم الفساد

¹- نعيمة مرّاد محمد ، العصبية الأندلسية ، هجرة الأدب العربي إلى البرازيل، ص 115

²- المرجع نفسه ، ص 116 .

³- المرجع نفسه ، ص 117

المنتشر فيه، واستحالة إصلاحه إلى الهجرة والحرمان من الأهل والوطن وفي ذلك يقول الشاعر القروي :

وطن ولكن للغريب وأمة ملهى الطغاة وملعب الأضاد
وأها لأصفاد الحديد فإننا من آفة التفريق في أصفاد¹

وهي صرخة استنكار وضيق بالتهاون والاستسلام والخنوع الذي عليه الشعب العربي بصفة عامة وشعب الشام بصفة خاصة، فقد كانت قضايا الوطن والعروبة هي شغلهم الشاغل، يتابعونها ويحاولون بكل ما أوتوا من جهد أن يدفعوا شعوبهم للتخلص من الفساد الذي تقشّى في حياتهم، ليس في وطنهم فقط، بل تقشّى في جميع أنحاء العالم .

«لقد تأثر شعراء المهجر الشمالي إلى حد بعيد بالمدينة الغربية في الولايات المتحدة الأمريكية، وبالأدب الغربي أيضاً، لذا نجد الروح الغربية واضحة في أدبهم، وفي أفكارهم، وفي بعض الصور والتعبيرات المقتبسة من الأدب الغربي، ثم هم يعتمدون الرمز في نتائجهم وهذا يرجع إلى ثقافتهم الغربية الواسعة»²، ومن أبرز شعراء الرمزية " إيليا أبو ماضي " في قصائده الكثيرة والمتنوعة، ومنها قصيدة (التينة الحمقاء) إذ يقول في مطلعها :

وتينة غَضّة الأفنان بأسقة قالت لأترابها والصيف يحتضر
لبئس القضاء الذي في الأرض أوجدني عندي الجمال وغيري عنده النظر³

¹ - نعيمة مرّاد محمد ، العصابة الأندلسية ، هجرة الأدب العربي إلى البرازيل ، ص 131

² - المرجع نفسه، ص 117

³ - من أعمال الشاعر إيليا أبو ماضي الجداول ، الخمائل ، تيروترا ، بيروت : 1988 م ، دار كاتب وكتاب،

وقد رمز بها الشاعر إلى الأنانية المتفشية في المجتمع الأمريكي، فهو يعبر في هذا القلب الرمزي عن أنانية الفرد إزاء الجائعين والمظلومين، ومن ثمة لم يكن لهم عرف في الإنسانية، واتخذ من الطبيعة وسيلة للتعبير في مظهر شجرة التين ، بينما نجد الطابع العربي والصياغة العربية الرصينة واضحة بصورة أكبر عند شعراء المهجر الجنوبي .

كانت هذه أهم نقاط أوجه التشابه والاختلاف بين المهجريين الشمالي والجنوبي، حيث كان كل منهما يهدف إلى المحافظة على الكيان العربي في المهجر، والتعبير على القضايا العربية بصفة عامة، وقضايا مجتمعهم سوريا ولبنان بصفة خاصة، إلا أنّ لكل منهما نزعة مختلفة، فالمهجر الشمالي كانت نزعته تجديدية، والثورة على تقليد القدماء، في حين أنّ المهجر الجنوبي نزعته تقليدية محافظة على الموروث العربي القديم، «على أننا لا يمكن أن نقول أن أدباء الرابطة كانوا بعيدين كل البعد عن القديم ، وان كل ما اتوا به كان جديدا ، وإنما كان الجديد أكثر وضوحا فيه، كذلك لا يمكن القول أنّ شعراء العصبة وكتابها كانوا تقليديين للغاية، ولم يحاولوا التجديد، إذ الواقع أن كلا الفريقين جدّد، إلا أنّ تجديد الشماليين كان أوسع نطاقا من الجنوبيين»¹.

فكلا المهجريين جددا وقلدا إلى حد ما ، حيث أن كليهما تأثر بالموروث العربي القديم ، فتأثروا بالشعراء العرب القدامى أمثال المعري والمتنبي وغيرهم وتأثروا بالموشحات الأندلسية ونسجوا على منوالها ، وطوروا فيها قليلا .

¹ - نعيمة مرّاد محمد ، العصبة الأندلسية ، هجرة الأدب العربي إلى البرازيل ، ص 118

إلا أنّ تجديد المهجر الشمالي كان أكثر بروزا حيث ثار على اللغة الفصحى وعلى الأوزان القديمة، أمّا المهجر الجنوبي كان مقلدا في معظمه حيث حافظ على اللغة وعلى الأوزان الخليلية وعلى الأساليب القديمة .

4- التجربة الشعرية عند إيليا أبو ماضي :

بدأت ملامح الشاعرية في شخص إيليا أبو ماضي - تظهر منذ صغره، فقد كان يطالع دواوين شعر العرب ويحفظ العديد من أبيات قصائدها ، وكان شغوفا بالمطالعة والتحصيل ، ونظم الشعر ، ويعد أبو ماضي شاعرا من شعراء مدرسة المهجر الكبار ، وتحديدًا من شعراء الرابطة القلمية في المهجر الشمالي ، وقد كانت له بصمته الخاصة فيها ، وفي حياة الرابطة نضجت شاعرية أبي ماضي ، وبلغت قمة نضجها ، فكان شعره عنوانا للشعر المهجري الجديد في روحه وأفكاره ، وخيالاته وصياغته ، لقد كان شاعر الرابطة الأكبر¹، بالإضافة إلى أعضاء الرابطة أمثال جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وغيرهم فهؤلاء الشعراء تأثر كل منهم بالآخر من حيث الأفكار والمبادئ وغيرها ، إلا أن أبا ماضي قد استقل بشخصية شعرية قوية عارمة ، وبعبارة أخرى كان إيليا أبو ماضي الأغزر شعرا من بين أعضاء حركة المهجر وأكثرهم موهبة² ، فمن يطالع دواوينه الشعرية يجد تلك الشخصية الشعرية القوية ، وقد تفاوتت أعماله الشعرية وكتب المقالات والتعليقات العديدة في الصحف والمجلات³ .

¹ - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 367

² - عبد العزيز السبيل، أبو بكر باقادر، محمد الشوكاني، الأدب العربي الحديث، ط1 ، جدة ، 2002 ، النادي الأدبي الثقافي ، ص 157 .

³ - كاظم حطيط ، أعلام ورواد في الأدب العربي، ط1 ، 2003، مكتبة الدار العربية للكتاب ، الجزء الثاني ص

فقد كان أبو ماضي شاعرا وأديبا، ومن آثاره الشعرية عدة دوواين، «نشر منها في حياته "تذكار الماضي (1911)»، وديوان إيليا أبي ماضي (1918) و" الجداول" (1927)، و" الخمائل " (1946)، وبعد وفاته أي في سنة 1960 نشرت له دار العلم للملايين في بيروت ديوانه الأخير بعنوان، " تبروتراب " ¹. وكل ديوان يشمل عدة قصائد متنوعة الأغراض وإذا تتبعنا شعره من خلال دواوينه وجدناه متسلسل عبر مراحل حياته وهي كالآتي :

1-ديوان تذكار الماضي : يعتبر هذا الديوان بداية المسيرة الشعرية لإيليا أبو ماضي «ويكشف الديوان عن معرفة تراثية بالشعر، كما تعكس قصائده سليقة قوية، وذاكرة حادة ومهارة في رصف الكلام والقوافي، وضبط الأوزان، ولا شيء أكثر من ذلك، لكنها لا تتم عن الكثير من الحساسية والإبداع الحقيقي» ²، ففي مرحلته الأولى اتجه اتجاهها قديما، وكان شعره تقليديا يعتمد فيه على الأوزان الخليلية، ويعنى فيه عناية كبيرة بالألفاظ والعبارات، «وقد ظهر التقليد واضحا فيه لشعراء عرب عباسيين مثل : أبو تمام، والبحتري، وآخرين معاصرين مثل : البارودي، وشوقي، وحافظ» ³.

«وبين هذا الكتاب المبكر للشاعر الشاب، والقصائد المشهورة لأبي ماضي بعد أن نضح شعره، أن ثمة فجوة كبيرة ونمو هائل في الحساسية إلى جانب تجديد ثوري في الأدوات الشعرية» ⁴، فالشاعر لم ينفصل عن جذوره التقليدية، وعلى الرغم من محاولاته في التجديد إلا أن النزعة التقليدية طغت على شعره بشكل واضح، وكان معظم شعره الأول في القضايا الوطنية .

¹ - حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث ، ط1 ، بيروت : 1986 ، دار الجيل ،

ص 592

² - سلمى الخضراء الجيوسي ، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ص 170

³ - كاظم حطيط ، أعلام ورواد في الأدب العربي ، ص 271

⁴ - سلمى الخضراء الجيوسي ، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ص 170

2-ديوان إيليا أبو ماضي الجزء الثاني: «ويشمل هذا الديوان شعر إيليا التأملي والقصصي والوطني، وقد ضمّنه إيليا القصائد الوطنية التي لم يتمكن من نشرها في ديوانه الأول " تذكّار الماضي "»¹، وقد عكس هذا الديوان نتيجة الاتصالات الجديدة لأبي ماضي " بعد اتصاله " بالثورة على الجمود والتقليد، وقد مرّ أبو ماضي بتحول كبير في حساسيته الشعرية، وحدث ذلك حسب رأي ميخائيل نعيمة - بعد أن بدأ النشر في جريدتي " الفنّون " و " السائح "، وتقول سلمى الجبوسي: «نحن نلمس بعض دلالات هذه الحساسية الجديدة في قصيدتيه الشهيرتين " فلسفة الحياة "، و " لم أجد أحدا "، لكن أغلب قصائد هذه المجموعة تقليدي»²، وفي هذا الديوان كان إيليا» قد وضع قدمه على أول الطريق من الشاعرية المتفوقة المبدعة، فقد تخلص من قيود التقليد، وأطلق خياله حرّاً في آفاق الوجود والطبيعة دون تهيب ولا حذر»³، فيبدو الشاعر ذا ثقافة تقليدية، وذا موهبة متميزة جداً في آن، وقد استطاع بشاعريته المبدعة أن يتخلص من قيود التقليد .

3-ديوان الجداول: «كان لهذا الديوان الشعري صدى كبير في الأوساط الأدبية، وكان أبو ماضي في هذه المرحلة من حياته قد اختمرت تجربته الشعرية، وقد تناولته معظم البلدان العربية، وقد قدم للديوان " ميخائيل نعيمة " مثنياً على موهبة الشاعر ومنوّهاً بنزعته الأدبية والفلسفية»⁴، وفي ذلك يقول نعيمة: «فبين هذه الجداول ما تنساب معه روي متفرقة، مترنّمة، مطمئنة، جذلة بنور في عينيها، وجمال في جانبيها، مرحلة بحرية لا أرصاد عليها ولا قيود، ومدى لا آفاق لها ولا حدود»⁵، وفيه ينحو أبو ماضي إلى التجديد، «وينطلق انطلاقاً متميزاً، حيث تعمق آراؤه، ومواقفه،

¹ - عيسى الناعوري ، ادب المهجر ، ص 368

² - ينظر سلمى الخضراء الجبوسي ،الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ص 171

³ - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 369

⁴ - خليل برهومي ، إيليا أبو ماضي ، شاعر السؤال والجمال ، ص 33

⁵ - إبراهيم خليل ، مدخل لدراسة الشعر الحديث ، ص 131

ويهجر ما استطاع مواضيع تقليدية كالمح والهجاء ، ويفتح على الإنسان والطبيعة ويبدأ مسيرة الشك والتفلسف»¹، كما في قصيدة الطلاس .

وفي هذا الديوان يقول عيسى الناعوري: « وأما الجداول فغنى بالقصائد الجياد التي تعد من عيون الشعر التي تمتاز بغناها الوافر في الشعور الإنساني، وفي الإحساس بالطبيعة والحياة، وفي لطف أسلوبها، وجمال صورها ، مما يندر أن تجتمع كلها في شاعر واحد»²، لقد وصل أبو ماضي قمة عطائه، بوصفه شاعرا رومانسيا في هذا الديوان، وبلغ منتهى نضجه الشعري فيه .

4-ديوان الخمائل: «لقد جاء هذا الديوان حافلا بالقصائد الرائعة التي تدل على شاعرية أبو ماضي المتفوقة، وتجديده شكلا ومضمونا، وقد بوأه ليكون كبير شعراء المهجر على الإطلاق»³؛ وعنه يقول كاظم حطيظ: «يصل في ديوانه " الخمائل " إلى التأكيد على حب الحياة أيا كان غموض أسرارها، وتجهّم أو تبدل أحوالها، وظروفها وتعدد نوازله»⁴، وفي الأمر نفسه يقول شوقي ضيف: « فالدنيا من حوله زاهية مشرقة، وإن ادلهمت من جانب لا تلبث أن تضئ وتثير من جانب آخر، وهو يدعونا أن لا نبتئس حتى لو ابتأست الطبيعة نفسها، فالعمر قصير وحياتنا وشبكة الزوال، وستنتهي إلى العدم ولا محيص، فحرى بنا أن نلقى الحياة متبهجين»⁵، وعن خصائص هذا الديوان يقول عيسى الناعوري: نجد في الخمائل الخصائص عينها التي وجدناها من قبل في شعر " الجداول " إلّا شيئا جديدا واحدا - نعه نحن نكسة إلى الوراء - وهو زيادة عدد قصائد المناسبات الشخصية في " الخمائل "، فقد اجتمع منها نحو اثني عشرة قصيدة أو تزيد، ولم يكن في الجداول منها سوى اثنتين، وهذه

¹ - كاظم حطيظ ، أعلام ورواد في الأدب العربي ، 171

² - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 372 .

³ - خليل برهومي ، إيليا أبو ماضي ، شاعر السؤال والجمال ، ص 39

⁴ - كاظم حطيظ ، أعلام ورواد في الأدب العربي ، 171

⁵ - شوقي ضيف ، دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ط6 ، مصر ، دار المعارف ، ص 188

ظاهرة نشعر بها في ديوان لأكبر شاعر في الرابطة القلمية، إلا أنه في هذا الديوان عدد من قصائد المناسبات من أروع القصائد الإنسانية أو الاجتماعية أو الوطنية، ويقول أيضا: «هنا في الخمائل كما في الجداول تتلخص مميزات أبي ماضي الشعرية في شعوره الإنساني ، وغمق احساسه بالطبيعة ، وتقاؤله ، وحبه للحياة ، وشعره الاجتماعي ، وحنينه إلى وطنه وفي الحيوية الشعرية»¹، ومن هنا نستطيع القول أن أبا ماضي هو مثال للشاعر الحق، فهو يسير في شعره ضمن حدود وأهداف تتبع من المجتمع .

5- **ديوان تيروترب:** كانت قصائد المناسبات السمة الغالبة على هذا الديوان، «فالقائد جميعها عن مناسبات وأشخاص، وراثيات في أصدقاء وزملاء»².

لقد مرّ شعر أبي ماضي عبر مراحل حياته، بتحوّل من التقليد إلى التجديد، وصولا إلى قمة الشاعرية، محققا مركزا مرموقا في الأوساط الأدبية العربية .

- مميزات شعره :

جمع حنا الفاخوري ميزات شعر شاعر المهجر الأكبر "أبو ماضي"، وأجازها في ثمانين نقاط كالآتي :

1- تظهر في شعر أبي ماضي قوة الحياة متدفقة العاطفة، فيشعر الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وعلى تباعد أوطانهم ومشاربهم أنهم يرون فيه صورة عن أنفسهم وعن نوازلهم وآمالهم وتفكيرهم .

2- وأوّل ما يستلفت النظر هو أنّ أبا ماضي يسير في شعره نحو أهداف تتبع من صميم المجتمع وتستمد قوتها وعمقها من صدق صاحبها وإخلاصه، ومن اتصال

¹ - ينظر : عيسى الناعوري ، ادب المهجر ، ص 373

² - عبد العزيز السبيل، أبو بكر باقادر، محمد الشوكاني، الأدب العربي الحديث ، ص 162 .

وشغف شديدين بالطبيعة، بحيث يأخذ مواضيعه وأمثله وإلهامه من نباتها وجمادها من أشواكها وورودها، من مائها وسمائها، ومن حيوانها وطيرها .

3-يصطبغ شعر أبي ماضي بالصبغة الفلسفية، فهو يحب الحياة ويحب الأحياء فيها ويصورها لهم نقية حلوة، ويستهدف سعادة المجتمع، ويدعوه إلى تنقية الحياة من الأدران .

4-أما أسلوبه الشعري فهو صاف رقيق كنفسه، تقرأه بثغور مشرقة وقلوب يغمرها الحب والأمل، هو أسلوب البساطة والوضوح الذي يحمل أبعد معاني الحياة في أعماقه، والذي يزود شعر أبي ماضي بعناصر الحيوية والتأثير هو أن شعره ينبع من قلبه، ولعلّ أبرز ما يقرب هذا الشعر إلى النفوس، نواح ثلاثة : النزعة الإنسانية، والدعوة إلى محبة الحياة واستلهاهم الطبيعة .

5-وتعجبك عند أبي ماضي هذه الثورة التي تمزق الأقنعة المزيفة وتكشف للإنسان ذاته في عريّها الجميل، في براءتها وأصالتها، في حقيقتها التي لا تعرف التشوية والخداع .

6- وأبو ماضي في محاولته الإنسانية، قد لا يكون من الذين قبضوا على الرؤى البعيدة الكامنة في أعماق الإنسان، ولكنه استطاع، بالجدل والاستفهام والخبر، أن يجسد الفكرة التي رمى إليها وأن يكون مؤثرا ومقنعا في آن واحد، فالأمثلة التي عرضها والتأكيد على ضعف الإنسان وحقارته تشير إلى براعة أبي ماضي في استقاذ المعنى وتطويقه من كل جوانبه، حيث يمسى الغرض واضحا والغاية مفيدة .

7- يغلب على أسلوبه طابع الجمود، فهو على متانة اللفظة وأصالتها، لا يفيض على الكلمة ذات المضمون النغمي الذي يذيب النفس، فالكلمة عنده مقيدة بالمعنى شأن الكلمة العلمية، إنه يكتب بعقله لا بشروده وانخطافه، يكتب بوعيه لا باغترابه

خلف جدران الصمت والتجربة النفسية المزلزلة، فشعره يهز النفوس ويطربها ولكنه لا يترك فيها الجرح الذي تبقى الأعمال الشعرية العظيمة، ولا النشوة التي يعيشها القارئ في إبحاره خلف الصورة وغرقه في بحور الضوء والظل واللون والرمز .

8- كثيرا ما يعتمد أبو ماضي على أسلوب القصص في شعره أو القصص الخرافي الأسطوري، ويستخرج منه دروسا إنسانية ذات قيمة، وقصصه رائع السرد، يعتمد فيه على عنصري المفاجأة والتشويق، وهو يمتلك طاقة درامية فريدة...ومثل هذا الغنى في الطاقة الشعرية، مجموعا إلى القدرة على التمثيل الجماعي لنفسية الأمة، هو الذي يجعل من أبي ماضي شاعرا كبيرا .

ومهما يكن من أمر يظل أبو ماضي من الرواد الذين فتحوا صدر الشعر لغير الغنائية الذاتية، فزرعوا فيه مواسم جديدة لموضوعات شعرية جديدة تتناول الإنسان في شتى صوره، وتناولوه فكرة وجوها، نفسا وعقلا، تطلّ عليه بغير المنظار الذي ألفناه، وأبو ماضي الشاعر الإنساني واحد من القلائل الذين كان لهم شرف المحاولة في تطويع الشعر العربي للأغراض الإنسانية الكبيرة¹، وهو مستقل في شخصيته وله أسلوبه الخاص، ونطاق شعره متسع، حيث يجوب فيه عالم الوطن والإنسان والطبيعة والحياة .

¹ - ينظر : حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 596 .

– ماهية الجمالية :

إنّ موضوع الجمال مطروح منذ القدم، وقد لقي عناية خاصة منذ الحضارات الأولى وللجمال عدة أشكال، حيث يكون في الأشكال الأدبية، والأشكال الفنية المختلفة كما يكون في الطبيعة بمختلف عناصرها الحية والصامتة، ومصطلح الجمال أو (الجماليات) تناولته مختلف المعاجم والقواميس اللغوية، ومن ذلك :

جاء في تاج العروس للزبيدي : « الجمال : الحسن ، يكون في الخلق وفي الخلق ، الجمال الحسن الكثير، وذلك ضربان، أحدهما : جمال يختص الإنسان به في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني ما يصل منه غيره».(1) فالجمال تعني الحسن في الخلق والفعل .

قال تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (2) أي: بهاء وحسنا وجاء في المعجم الوجيز: « جَمَلٌ، جمالا: حسن خَلْقَه، فهو جميل، وهي جميلة، جملة: حسنه، وزينه، تجمل: تكلف الحسن والجمال واتصف بما يجمل، جامله: عامله بالجميل، وأحسن عشرته، استجمل الشيء: عده جميلا ، والجمال في الفلسفة: صفة تُلاحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سرورا ورضا، وعلم الجمال: باب من أبواب الفلسفة، يبحث في شروط الجمال ومقاييسه ونظرياته ». (3) فالجمال يعني التزين والاتصاف بالجمال وهو علم يبحث في كل ما هو جميل ، والجميل هو الحسن ، والبهّي والرائع؛ وهو ما يبعث فينا السرور واللذة والإثارة سواء تعلق الأمر بالأمور المعنوية أو المادية أو الأفعال أو الأخلاق . « وقد اشتق مصطلح علم الجمال أو الجماليات Aesthetics من الكلمة الإغريقية Aisthanesthai ، والتي

(1) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: محمود محمد الطنـاجي

الكويت: 1993 ، التراث العربي وزارة الإعلام، مادة (جمال) .

(2) سورة النحل ، الآية 06

(3) – المعجم الوجيز (الميسر) مادة (جمال) .

تشير إلى فعل الإدراك To perceive وأيضا من كلمة aistheta التي تعني الأشياء القابلة للإدراك Things perceptible وذلك في مقابل الأشياء غير المادية أو المعنوية ... وهو فرع من الفلسفة يتعامل مع طبيعة الجمال ومع الحكم المتعلق بالجمال أيضا ، أو هو المجال الذي يتعامل مع وصف الظواهر الفنية والخبرة الجمالية وتفسيرها¹، فهو مرتبط بالمباحث الفلسفية ، كما يهتم بجميع الفنون ويدرس جمالياتها . وقد ظهر علم الجمال أو " الاتساطيقا " كمصطلح لأول مرة خلال القرن الثامن عشر من خلال الفيلسوف بومبارتن ، وأصبح هدف هذا العلم محاولة وصف وفهم وتفسير الظواهر الجمالية والخبرة الجمالية .. لكن ولع بومبارتن بالشعر خاصة والفنون عامة ، جعله يعيد تعريف حدود هذا الموضوع على أنه نظرية الفنون العملية ، أو علم المعرفة الحسية² ، فاكتمال الوعي الحسي حسبه يمكن أن يوجد في أنقى حالاته خلال الإدراك الفائق للجمال .

وقد اختلف الباحثون في نظرتهم إلى الجمال، « فقد نظر الكلاسيكيون إليه باعتباره جوهر الواقع ، وانه التحقق الكامل للشكل ، أو هو اكتمال الشكل في ذاته ، كذلك نظر الرومانتيكيون إلى الجمال باعتباره تجليا للإرادة أو الشعور اللذين يتجددان ذاتيا من خلال كل مشاهدة للجمال ، اما الطبيعيون فاكشفوه في التوافق أو الاتفاق البارع مع الطبيعة ، ونظر الواقعيون إلى الجمال فاعتبروه موجودا في الموضوع الجمالي وكذلك الوعي الذي يدرك هذا الموضوع أيضا»³ ومنه فإن مختلف المحاولات التي بذلت في تعريف الجمال تتراوح بين الجمال المادي والجمال المعنوي، « ويتفق الباحثون بشكل عام على أن علم الجمال Aesthetics or esthetics نشأ في البداية باعتباره فرعا من الفلسفة ، ويتعلق بدراسة الإدراك للجمال والقبح ، ويهتم

¹ - شاكِر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، الكويت: 1978 ، عالم المعرفة ص 18 .

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 8.

³ - المرجع نفسه ، ص 17 .

أيضا بمحاولة استكشاف ما إذا كانت الخصائص الجمالية موجودة موضوعيا في الأشياء التي ندركها ، أم توجد ذاتيا في عقل الشخص القائم بالإدراك»¹.

ومن علم الجمال كانت الجمالية التي تهتم بجميع الفنون على اختلافها كالأدب والرسم والموسيقى والعمارة وغيرها ، وذلك لإبراز الحسن من الرديء والجميل ومن القبيح في مختلف المواضيع بواسطة العقل عن طريق التلقي والفهم والاستيعاب .

فالجمالية هي العلم الذي يعنى بالبحث في الجمال وما يتولد عنه، «وهي نزعة مثالية تبحث في الخلفيات التشكيلية ، للإنتاج الأدبي والفني وتختزل جميع عناصر العمل في جمالياته»²، أي أن النزعة الجمالية ترمي إلى الاهتمام بالمقاييس الجمالية في مختلف الإبداعات. «وموضوع الجمال وإن كان واضحا في ما يبدعه الإنسان من أشياء يجسد فيها ذوقه وإحساسه بالجمال ، فإنه يظهر أيضا في ما نحبه ونفضله لا لمنفعة أو لهدف آخر غير ذاته»³. وكما يرى الأمريكي ستيفان كوبرن ببر ، أن علم الجمال هو بحث عن قوانين التدوق الجمالي ، وموضوعه هو تلك الأشياء التي نحبه لذاتها أما بقية الأشياء نحبه لأنها وسائل تحقق لنا أهدافا ، وهو يبحث في أبسط الأشياء التي نحبه كالصوت واللون والخط والإيقاع أو الكلمة ، ثم في مركباتها في الأعمال الفنية ، من تصوير وموسيقى وأدب .. وكبار الفنانين وعظماء الشعراء هم أقدر الناس على الإحساس والتعبير عنها ، لأنهم يرون ما لا يراه غيرهم من عامة الناس فيحققون بأدبهم ما هو أشد جمالا وتأثيرا في النفوس⁴ . وإحساس الإنسان بالجمال شيء فطري، «ومما لا شك فيه أن الإحساس بالجمال، تذوقه وتقديره

¹ -شاكرا عبد الحميد، التفضيل الجمالي، ص 18

² - سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ط1 ، بيروت ، 1985 ، دار الكتاب اللبناني ، ص 62 .

³ - أميرة حلمي مطر ، مدخل إلى علم الجمال وفلسفة الفن ، ط1 ، القاهرة ، 2013 ، دار التنوير للطباعة والنشر، ص14.

⁴ -ينظر ، المرجع نفسه، ص 15 .

يتأثر بعوامل عدة من أهمها العامل المرتبط بحس وشعور وحالة الفرد النفسية بالإضافة إلى ما تلعبه جملة العوامل الموضوعية المحيطة بالفرد، سواء المجتمع أو العصر أو المعتقد من دور رئيس وهام في عملية إدراك الجمال وتذوقه¹، فالإحساس بالجمال وتذوقه تتحكم فيه عدة عوامل ويتأثر بها كالعامل النفسي والعامل البيئي كالمجتمع والعصر ... «وكان للأدب من روح الجمال وعلمه نصيب استوعبه الشعر والنثر ، فتألاً فيهما جمال البيان في أبداع صورة وأسطع شعاع»²، فقد وجدت النظرة الجمالية مكانها في الأدب العربي منذ القديم ، وإن بدت الرؤيا مختلفة عما هو موجود الآن ، فلخصوصية المجتمع العربي والدين الإسلامي الأثر الكبير في تشكيل الرؤيا الجمالية العربية وإرساء ركائزها لدى المبدع العربي، فلقد «اتخذت ظاهرة الجمال في الفكر العربي مغزى تجريبيا في استنتاجهم للأذواق الحسية، وهي النظرة السائدة في تقويم المنظور العربي القديم لمعنى الجمال، وقدمها يتدرج بهم إلى عصر ما قبل الإسلام حيث كانوا يربطون النظرة الحسية بوصف الطبيعة والمرأة»³، فالجمال عند العرب القدامى كان مرتبط بالإحساس ويتجلى في وصف الطبيعة والمرأة باعتبارهما أهم العناصر التي تلفت الإعجاب .

وقد كان مصطلح الجماليات أو علم الجمال « يشير في معناه التقليدي إلى دراسة الجمال في الفن والطبيعة ، أما الاستعمال الحديث ، فينطوي على أكثر من ذلك بكثير كطبيعة التجربة الجمالية ، وأنماط التعبير الفني وسيكولوجية الفن ، وتعني عملية الإبداع والتذوق أو كليهما معا ، وما شابه ذلك من الموضوعات »⁴. فالنظرة إلى علم الجمال تغيرت حسب تطور العصور من الإدراك الحسي إلى دراسة

¹ - هديل بسام زكارنة ، المدخل في علم الجمال ، الأردن : 1993 ، المعهد الدبلوماسي الأردني ، ص 10 .

² - سيد صديق عبد الفتاح ، الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء ، ط 1 ، القاهرة : 1994 ، دار الهدى مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع ، ص 323 .

³ - عبد القادر فيدوح ، الجمالية في الفكر العربي ، دمشق : 1999 ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ص 26

⁴ - شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، ص 19 .

الجمالية من خلال التجربة الجمالية والأساليب التعبيرية والفنية وسيكولوجية الفن بين المبدع والمتلقي .

وللنص الأدبي عناصر جمالية تميزه عن غيره من النصوص ، وهذه العناصر تحدد قوته ودرجة الانجذاب إليه، وانطباعه في الذاكرة، ومدى تأثيره على القلب والنفس فالقارئ بحاجة إلى مساحة جمالية، للحصول على لذة النص ويتأتى ذلك بالاطلاع على النصوص الأدبية، وجوانبها الفنية من خلال الأساليب التعبيرية والأنساق التركيبية، وكذا الشكلية والمضمونية،» ولقد أشار وولفجانج أيرز -وهو من أقطاب نظريات التلقي والقراءة - فيما يتعلق بالنصوص الأدبية إلى العلاقة بين الجانب الفني والجانب الجمالي على أنهما قطبان، وأن القطب الفني هو النص الفعلي أو الموضوعي الذي أبدعه الكاتب أو الفنان، أما البعد أو القطب الجمالي فهو القطب المدرك، أو هو عملية التحقق أو الإدراك، أو الخبرة التي تتحقق للقارئ، أو المشاهد أو المستمع من خلاله ¹. فجمال النص الأدبي مرتبط بجماله الفني، والجمال هو القيمة الحقيقية للنص - أيا كان نوعه - وهو الذي يسعى المبدع والقارئ للحصول عليه ، فالنص الأدبي كل متكامل ، وكل عنصر فيه يرتبط بالآخر ، ليشكل أدبيته أو جماليته، لأن الجمال يتشكل بناء على اجتماع عناصر متعددة في النص، ويرتبط إدراكه بجملة من الظروف والمؤثرات الداخلية والخارجية، كما تشترك في تذوقه حواس مختلفة تتفاعل لتخرج بالتصور الجمالي المنشود .

والنصوص الأدبية أنواع فمنها النص النثري، ومنها النص الشعري، وقد تتحقق الجمالية في كليهما، على أن الشعر « ينفرد بوصفه نوعا شموليا، يستجيب لنداء الإنسان المحتمي بأساليب جديدة للتعبير عن قضايا وهمومه وتمزقه وطموحاته وشكه ويقينه وحيرته وتطلعه إلى عالم أكثر صفاء ونقاء، يتماشى مع الأنواع الأخرى

¹ -شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، ص 335 .

على اعتبار أنه الفن الذي يحمل في بنائه جمالا خاصا ووجوده الحقيقي يتجلى في شكله بوصفه شيئا حقيقيا في ذاته»¹. فالشعر فن شمولي يعبر عن قضايا الإنسان المختلفة، بأساليبه التعبيرية الفذة ، ولغته ، وما يحمله في طياته من جمال خاص ، يدركه المتلقي، ويتفاعل معه، والشعر خاصية خارقة تتخذ الكلمات تحت تأثير خاص يحدد حالة من الجمال، وهو يختلف عن النثر، فالشعر شكل تعبيرى أكثر أولية من النثر وهو يختلف عنه اختلافا كلياً².

وكل قصيدة في الشعر تتم على مجموعة من الخصائص اللغوية، والأسلوبية والبلاغية التي تعطي النص ماهيته الفنية، ومن ثم تضيف عليه مسحة جمالية يدركها المتلقي باعتباره عنصرا في انتاج الجمالية بعد المبدع، ويتم هذا الإدراك الجمالي « إذا تم التوافق بين الجمال في العمل الشعري وروح متلقي هذا العمل، أمكن إدراك هذا الجمال، ومن ثم نستطيع القول إن حياة العمل الفني يكفيها الإدراك المباشر المزدوج عند مؤلفه ومتلقيه »³. وقد انقسم المفكرون بخصوص الإدراك الجمالي للعمل الفني فبعضهم يتكلمون عن الجمال الذي في الأشياء، وفي التعبير أو في الصورة، والبعض الآخر يتكلمون عن الجمال في الشعور أو في المعنى أو في الموضوع، وبالتالي كان من السهل علينا أن ندرك أنه لا تعارض بين الفريقين، لأن كليهما يقوم الجمال في جانب واحد من جانبي العمل الفني⁴. وللشعر المهجري الحديث جماليات يتميز بها عن غيره من الأشعار، ولرصد هذه الجمالية سأطرق إلى رصد مصادر الجمال في الشعر المهجري من خلال اللغة الشعرية وما ينطوي تحتها من جدة وغموض وبساطة، وكذا مصادر شخصية خاصة بالمبدع، ثم أطرّق

¹ - عبد الناصر هلال ، في جماليات شعر الحداثة ، القاهرة : 2006 ، دار الحرم للتراث ، ص 8

² - ينظر: هريث ريد ، طبيعة الشعر ، ترجمة : عيسى علي العاكوب ، مراجعة : عمر شيخ الشباب ، دمشق : 1997 ، منشورات وزارة الثقافة ، ص 40 .

³ - عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة) ، القاهرة : 1992 ، دار الفكر العربي ، ص 38 .

⁴ - ينظر : المرجع نفسه ، ص 55 .

إلى آثار هذه المصادر الجمالية على المتلقي، وذلك باختيار نماذج لشاعر المهجر الأكبر إيليا أبو ماضي، لما يزخر به شعره من سمات جمالية مختلفة .

أولاً : مصادر الجمالية في شعر إيليا أبي ماضي :

إنّ الظاهرة الشعرية ظاهرة جمالية، وتتشكل الجمالية من خلال قطبين متفاعلين هما المبدع والمتلقي باعتبارهما عنصرين مهمين في عملية الإدراك والتلقي والتقبل الجمالي، وللجمالية عناصر يجب أن تتوفر في الشعر حتى تدرك هذه القيمة الجمالية .

1 : مصادر الجمال اللغوية :

تعدّ اللغة أداة تعبيرية ووسيلة تواصلية مهمة في حياة الفرد، وهي عند عبد القاهر الجرجاني تعبير عن أحاسيس الإنسان الداخلية، وتصوير دقيق لمشاعره، وليست مجرد ألفاظ، بل حركة وجدانية، ونشاط نفسي مستمر، وقد احتلت اللغة مكاناً مرموقاً واستعادت جمالياتها بفضل تنظير عبد القاهر الجرجاني لفاعليتها، وتأثيرها الجمالي في العبارة، فهي حسب نشاط وجداني وليست مجرد رموز مصطلح عليها من أجل التفاهم عند كثيرين من القدماء، بل أصبحت ظاهرة نفسية ووسيلة تفاهم بين الفنان ومشاعره، ومجتمعه وحالاته العاطفية والوجدانية ... وهي مجموعة من العلاقات التي هي في الحقيقة موطن جمالياتها، وأساس النظم والأسلوب في الفن القولّي، وبخاصة الشعر، لأن اللغة عندما يستعملها الشاعر تصبح لغة شعرية لأنها خضعت للتجربة الشعرية في نفس الشاعر ومقتضيات التعبير عن هذه التجربة¹.

¹ - ينظر : عبد الرؤوف أبو السعد : مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي ، ط1 ، القاهرة ، دار المعارف ، ص 382 .

وفي هذا يقول الدكتور هلال الجهاد : « أن اللغة هي مستقر الوجود الإنساني ، وأنها المجال الذي يبني الوعي ذاته فيه، ويحقق وجوده للمعنى ... وفيما يخص الوعي الشعري، فإنَّ شعريته تتأصل في لغويته التي تحكمها علاقات متداخلة يتأصل بعضها في بعض ... والشعر هو المجال الأمثل لتحقيق هذه العلاقات مؤطرة بالجمال»¹. فاللغة نشاط وجداني يعبر عن الوجود الإنساني وتتشكل من مجموعة من العلاقات المتداخلة التي تحدد جمالياتها، «فهي تنطوي على إحياءات متعددة أدبية أو رمزية، أو وجدانية، لا نستطيع أن نتجاهلها وأنَّ التركيب أو السياق هو الذي يعطي للظاهرة المستخدمة غنى ومادة جديدة، وأنَّ نشاطه اللغوي أو تفاعل كلماته هو الذي يخلق المعنى»². ومنه فاللغة ليست وسيلة لنقل الأفكار وحسب، إنّما هي خلق في ذاتها من خلال التركيب والسياق .

إنَّ العلاقة التي نشأت بين اللغة وبين التجربة الشعورية، والفروق الدقيقة التي نشأت من هذه العلاقة هي التي تحدد قيمة العمل الفني، «فبينما تكون اللغة في الحياة اليومية لغة اصطلاحية، تكتفي بمجرد نقل الفكرة أو الإشارة إلى الصورة المادية أو الواقعية للشيء، فإنَّها في الشعر خلق تتحول فيه اللغة إلى رموز تصور حالة الأديب الباطنية وتعبر عن تجربته، فهي ليست هنا وسيلة للتخاطب، وعملة شائعة متداولة، وإنّما هي لغة مشبعة بالتجربة، قادرة بحكم صياغتها أن تحمل رؤية الشاعر للوجود عن طريق عمل فني متماسك موحد»³.

¹ - هلال الجهاد : ، جماليات الشعر العربي (دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي) ، ط 1 ، بيروت : 2007 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص 22 .

² - تامر سلوم ، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ، ط 1 ، سوريا : 1983 ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ص 09 .

³ - محمد زكي العشماوي ، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر ، بيروت : 1980 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص 66 .

وللقارئ أو المتلقي دور بارز في تحديد مدى جمالية اللغة الشعرية بإدراكه الحسي واللغة الشعرية في الشعر المهجري غنية بالجمالية، لما دعا إليه شعراء المهجر من تجديد في اللغة، «وقد جسّد شعراء الرابطة القلمية نزعة إنسانية واضحة في تجاربهم الشعرية، وشكّلت اللغة الشعرية أداة تعبيرية مهمة يصورون من خلالها أسرار النفس والوجود، وتحمل لغة الشعر العبء الأكبر في تجسيد رؤية الشاعر .. وقد تميّزت عن غيرها فجاءت لغة مشعّة برّاقة موجبة، تعكس روح العصر ونبض الحياة»¹. مما جعلها ثرية بالمصادر والقيم الجمالية المختلفة شكلا ومضمونا، ومن أهم المصادر اللغوية التي ساهمت في تلقي هذا الشعر وتبوؤه مكانة في الأوساط الأدبية :

أ- الجَدّة :

إنّ مهمة الأديب الناجح أن يعمل على تحطيم الارتباطات العامة للألفاظ وأن يخرج عن السياق المألوف إلى سياق لغوي مليء بالإحياءات الجديدة فيحطّم بذلك الشكل المألوف العادي، ويبني شكلا آخر من صنعه، ويعتمد على علاقات وتراكيب لغوية جديدة وحيّة، فالشاعر يخلق لنفسه العالم اللغوي الخاص به، ولا يخضع للعالم اللغوي العام بألفاظه وتراكيبه وصوره ومعانيه، وهو رؤية الشاعر الذاتية وقدرته الخاصة على صياغة أثره الفني في صورة جديدة تدهش القارئ وتلفت انتباهه إلى عبقرية الشاعر في استخدامه للغة².

ويُعَدّ إيليا أبو ماضي من الشعراء المجددين، فقد جدّد في قصائده شكلا ومضمونا، وبعث دماء جديدة في نسيج اللغة الشعرية، فهو يتناول قضايا إنسانية مختلفة، وقد أُولع بالكون والطبيعة، ومن نماذج الجدّة عنده ما جاء في قصيدته " الطين " التي يعالج فيها صورة الإنسان المتكبر الذي يغتر بنفسه، ويتناول على أخيه الإنسان بما

¹ - فضل سالم العيسى ، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية ، ص 196 .

² - ينظر : محمد زكي العشماوي ، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر ، ص 41 .

يملك من مال وجاه، مقارنا في الوقت نفسه مع الإنسان المتواضع ممثلا بالشاعر،
داعيا إلى التواضع يقول :

نسي الطين ساعة أنه طين حقير فصال تيتها وعريد
وكسى الخزّ جسمه فتباهى ، وحوى المال كيسه فتمرّد
يا أخي لا تمل بوجهك عني ، ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
أنت لم تصنع الحرير الذي تلبس واللؤلؤ الذي تتقلّد
أنت لا تأكل النضار إذا جعت ولا تشرب الجمال المنضّد
أنت في البردة الموشاة مثلي في كسائي الرديم تشقى وتسعد
لك في عالم الأنهار أمان ، ورؤى والظلام فوقك ممتدّ
ولقلبي كما لقلبك أحلام حسان فإنه غير جلمد
أأماني كلها من تــــراب وأمانيك كلها من عسجد ؟
أدموعي خل ، ودمعك شهد ، وبكائي ذل ونوحك سؤدد؟
وابتسامي السراب لا ري فيه ، وابتسامك اللآلئ الخُرد ؟¹

تدور أبيات القصيدة حول دعوة المتكبر للتواضع والتطهّر من الحقد، لأنّه خلق من
تراب وإليه سيعود، وقد استخدم الشاعر ألفاظا ملائمة لإحساسه " فالطين " توحى
بأصل الإنسان ونشأته من جهة، ودعوة صريحة للتواضع واحترام إنسانية الإنسان
من جهة أخرى، كما استخدم ألفاظا تبين موقفه الانفعالي " صال تيتها، عريد، تمرّد

¹—من أعمال إيليا أبو ماضي " الجداول " ، ص 39 .

جلمد، فرقد" والتي توحى بالغرور والتكبر، كما عمد إلى التقديم والتأخير في قوله في البيت الثاني : " حوى المال كيسه فتمرد "، قدم المفعول به " المال " على الفاعل " كيس " ليشير إلى دور المال في إفساد الحياة وقوله في البيت السادس " أنت في البردة الموشاة مثلي "، قدم الجار والمجرور " في البردة " على الخبر " مثلي " ليؤكد خداع المظهر الخارجي وللمساواة بين الناس بغض النظر عن المظهر.

كما يكثر إيليا أبو ماضي من اعتماد التضادات والمتقابلات المعنوية، فاستخدم المحسنات البديعية كالطباق (فحمة ، فرقد) (الموشاة ، الرديم) (أشقى ، تسعد) وأثره إبراز التناقض بين نمطين مختلفين من البشر، والمقابلة بين (الكساء الرديم والبردة الموشاة) توحى بالتباين منظرا ومظهرا وبالتساوي جوهرًا وقيمة وشرفًا، والجناس الناقص (كسى ، كيس)؛ والأبيات الثلاثة الأخيرة هي تشبيهات تعتمد على التضاد في المعنى، وهذا التضاد يعكس تلك المعاناة، ويصور الإحساس بمرارة التفرقة والتمييز الذي يضعه غرور الإنسان وغفلته عن حقيقة أصله، ومما يزيد من جمالية هذه الصور هو مجيئها في أساليب استفهامية متتابعة، في محاولة انتزاع الجواب من المتلقي، أو إشراكه في المعاناة كما أنّ استعمال ضمير المخاطب مصحوبا بنعوت يزيد التجربة إثارة وجمالًا وهي ظاهرة جمالية بارزة في شعره، استطاع من خلالها أن ينقل المعاني ذات التأثير الجمالي إلى المتلقي من خلال الأنساق التركيبية المختلفة ذات القوالب الجمالية الجذابة صياغة ومضمونا .

وقد استخدم شعراء المهجر بعض الألفاظ الأجنبية في قصائدهم، ونجد الشاعر إيليا أبو ماضي استخدم بعض الألفاظ التي تدل على ذوق موسيقي عنده، ومعرفته بالآلات والأنغام والألحان، مما يدل أنّ الموسيقى ليست شائعة في أنغام البيت فحسب، بل تبرز في كلمات معينة في قصائده، ومن ذلك حديثه على الكمنجة والقيثارة في قوله في قصيدة كمنجة الشوا :

كمنجة الشوا عليك السلام *** بهيكل الوحي وعرش الغرام¹

وقوله في قصيدة "بين مد و جزر":

لا تسألوني اليوم عن قيثاري *** قيثاري خشب بلا أنغام

فالشاعر استعمل مثل هذه الكلمات (كمنجة ، قيثارة) ممّا يندر استعمالها عند غيره فهو ينتقي من الألفاظ ما كانت مليئة بالقدرة إلى إثارة الإحساس، والتي تشع بالثقافة والمعرفة والفهم الصحيح لنواحي الحياة المختلفة، «فاللغة الشعرية بمفرداتها وتركيبها وأساليبها وموسيقاها هي عناصر جمالية، تستدعي بخصوصياتها استجابات لدى المتلقي، فتهيمن على العقل والعاطفة لتعمل على إشباع حاسته الجمالية، كما تعمل على تزويده بمعارف وتجارب عدة»². والسعي إلى التجديد على مستوى الصياغة التركيبية والمعجمية والتصويرية في بعض الأشعار عند الشاعر المبدع، يوجّه المتلقي إلى تبني أفكار المبدع، والخروج عن الأفكار الشائعة، والعمل على إشباع حاسته الجمالية .

ب-الغموض :

يتطلب الشعر ظاهرة الغموض، حتى لا تمل قراءاته وليكون في كل مرة أكثر عطاء، ونستوضح منه معاني جديدة لم تظهر لنا، لأنّ قيمته الفنية والفكرية تتحدد تبعاً لمدى استحضاره للأشياء استحضاراً غامضاً، لا مباشراً، إذ كلما أطلنا فيه النظر، وجالت أبصارنا في صوره التي لا نبصرها حقيقة، اقتربنا أكثر من العالم الشعري الحافل بالأسرار، واكتشفنا بإحساسنا الداخلي قواه الكامنة، وأخذنا ندور حول تساؤلات لا

¹ - من أعمال الشاعر إيليا أبي ماضي " الخمائل " ، ص 392

² - محمد الأمين شبيخة ، التشكيل الأسلوبي في الشعر المهجري الحديث ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الدب العربي الحديث ونقده ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة كلية الآداب واللغات ، 2008-2009 ، ص 429 .

ندرك معناها وإنّما نستمتع بما تحمله الإجابات من غموض، فقوة الشعر تكمن في تلك التساؤلات التي يطرحها المتلقي والمتذوق أثناء تلقيه للعمل الشعري، دون أن يصل إلى إجابة كافية، لكنه يظل مبهورا بنمو الجماليات التي تتحدّد باستمرار علاقاتها بمشاعر المتلقي الداخلية¹.

فالفنان لا ينقل إلينا الشيء كما هو، «وإنّما يتعمّقه بنظره الثاقب ويكمل ما فيه من نقص، ويضفي عليه من نفسه ما يجعله جميلا أو أكثر جمالا مما هو عليه»²، من خلال تجربته في الحياة، ويرتبط الغموض بالعمق، «فالتجربة التي تتمتع بدرجة من العمق هي التجربة التي يبرز منها الشعر... والشاعر في حاجة إلى عمق التجربة أكثر من حاجته إلى التفصيل، وكلما قلّت تفصيلات الصورة والحالة الشعرية زاد تأثيرها المباشر»³. فالمتلقي بحاجة إلى الغموض حتى يتمتّع بكشف خفايا القصيدة ليصل إلى اللذة الجمالية.

ويفسر الغموض على أنّه «يشتمل على استنتاج بأن المرء يمكنه أن يتعلم إذا أمكنه أن يتحرّك بعمق تجارب كثيرة، واكتساب معلومات جديدة عمّا يمكن أن يكون مخبوءا خلف السطح الظاهري والغموض بالضرورة عكس الوضوح، وهو الذي يبدو أكثر سهولة في استخلاص المعنى منه، واكتشاف المتلقي للفكرة بيسر»⁴، والغموض بارز في التجربة الشعرية المهجرية، ومن نماذج العمق والغموض في شعر أبي ماضي تساؤلاته التي تعتلج صدره حيال الوجود، وقد عبّر تعبيرا كاملا عن هذه المسائل الغامضة في قوله :

أفكر كيف جئت ؟ وكيف أمضي *** على رغمي ؟ فأعيا بالجواب

¹— ينظر : عبد الرؤوف أبو السعد ، مفهوم الشعر ، ص 10 .

²— عز الدين إسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص 37 .

³— المرجع نفسه ، ص 298 .

⁴— محمد الأمين شيخة : التشكيل الأسلوب في الشعر المهجري الحديث ، ص 418 .

أتيت ولم أكن أدري مجيئ *** وأذهب غير دار بالإياب

إذا كان المصير إلى التلاشي *** فلم جئنا وكنا في حجاب ؟

وإن كان المصير إلى خلود *** فما معنى المنية والثباب

أمور لا يحيط بهن فكر *** ولو أمسى يحيط بكل باب¹

فالشاعر يبحث عن إجابات غير موجودة، لتساؤلات غامضة وقد غلبت عليه الحيرة، محاولا البحث عن أسرار الحياة والوجود، لكن دون جدوى، وبقي الجواب عليها مبهما وغامضا، ليصل المتلقي إلى كشف هذه الأسرار والتفاعل معها وبالتالي خلق جمالية شعرية .

ويقول في قصيدة الأشباح الثلاثة :

كم أبحث بين الأجرام *** عني وأنقب في الأرض

أحلامي تظمر أحلامي *** بعضي مدفون في بعضي

لم أبصر ذاتي بالأمس *** في لوح زجاج أو ماء

بل لاحت نفسي في نفسي *** فهي المرئية والرأي²

يتناول الشاعر في هذه الأبيات قضية الإنسان وعلاقته بالحياة والموت، وتعكس العمق والغموض فقله : " أحلامي تظمر أحلامي، بعضي مدفون في بعضي، لاحت نفسي في نفسي " تعكس ما يعتري نفسية الشاعر، فقد كان يعاني الشعور بالحيرة في أعماق روحه، مما جعله يعبر عن تلك الحيرة بأسلوب مبهم وغامض، ويتعد عن التصريح المباشر بما يختلج صدره، وعلى المتلقي تحليل هذه التجربة

¹ - زهير ميزرا ، ديوان إيليا أبي ماضي ، دراسة عن إيليا شاعر المهجر الأكبر ، ص 89 .

² - من أعمال إيليا أبو ماضي " الجداول " ، ص 113 .

اللغوية واكتشاف أسرارها، وبذلك ينشط ذهن وإحساس المتلقي حتى يتمتع بكشف خفايا القصيدة، ليصل إلى إكتساب اللذة الجمالية .

ج-الجزالة :

الجزالة هي الفصاحة والمتانة والرصانة اللغوية، وهي نوع من الأصالة الأدبية، وترتبط الجزالة بالتركيب والتنظيم اللغوي بشرط السهولة والبساطة، وهو ما يتيح للمتلقي سهولة إدراك الثراء اللغوي المعجمي، والتركيب والتتبع في تفاصيل الموضوع، وتكوين خريطة معرفية تشغل هذا المتلقي وتمتعه، وبذلك يتحقق الوضوح والبساطة من خلال الثروة اللغوية وقدرة الشاعر على التصرف في التراكيب واختيار العبارات اختياراً نابعا من أصالته اللغوية¹، فالجزالة في العمل الشعري مرتبطة بالبساطة، مما يسهل على المتلقي إدراك ما يحتويه النص الشعري من تراكيب لغوية بكل سهولة، مما يحقق استجابة جمالية عنده. وصفة الجزالة اللغوية بارزة في قصائد الشعر المهجري الحديث، فقد وظفها شعراء المهجر في مختلف الأغراض الشعرية، ومن ذلك قصائدهم المتنوعة في الوصف، حيث وصفوا الطبيعة واهتموا بها اهتماماً عظيماً، ووصفوها وصفاً منوعاً، ذلك لأنَّ حياتهم ارتبطت بها إلى حد كبير، فأتقنوا وصفها وتفصيلها، وافتتتوا بألوانها ومناظرها الخلابة، ومن ذلك قصائد إيليا في وصف الطبيعة، يقول واصفاً شلالاً في قصيدة أم القرى :

فيه من السيف الصقيل بريقه *** وله ضجيج الجحفل الجرار

أبداً يرش صخوره بدموعه *** أترأه يغسلها من الأوزار ؟

فإذا تطاير ماؤه متناثراً *** أبصرت حول السفح شبه غبار

¹ - ينظر ، محمد الأمين شيخة ، التشكيل الأسلوبى في الشعر المهجري الحديث ، ص 423

كالبحر ذي التيار يدفع بعضه *** ويصول كالضرغام ذي الأظفار¹

في الأبيات السابقة وصف الشاعر الشلال بألفاظ جزلة وبسيطة تحاكي ألفاظ القدماء (السيف الصقيل ، الجحفل الجرار ، يصول كالضرغام ذي الأظفار) بالإضافة إلى بقية الصفات فالمتلقي حين يقرأ هذه الأبيات يستذكر المعجم اللغوي القديم، كما أنه يدرك معانيها بكل سهولة، نظرا لبساطة وجزالة ألفاظها، مما يخلق استجابة جمالية لدى المتلقي، ويقول في قصيدة " الغدير الطموح " :

قال الغدير لنفسه *** يا ليتني نهر كبير

مثل الفرات العذب *** أو كالنيل ذي الفيض الغزير

تجري السفائن موقرات *** فيه بالرزق الوفيـر

هيهات يرضى بالحقير *** من المنى إلا الحقيـر

وانساب نحو النهر لا *** يلوي على المرج النضيـر

حتى إذا ما جاءه *** غلب الهدير على الخريـر²

وصف الشاعر الغدير ، وقد نسج قصيدته بلغة شفافة واضحة ، وعبر عن مكنون نفسه في أبسط الألفاظ ، وأرق الأساليب .

وقوله واصفا الليل :

أيها الليل أنت أبهى من الفجر وإن كنت أسود من الطيلسان

بالوجوه الزهراء ، بالأنفس السمحاء ، من يعرب ومن غسان

¹ -إيليا أبو ماضي ، الديوان ، ص 387 .

² -من أعمال إيليا أبو ماضي " الجداول " ، ص 138

بملوك البيان ، بالأدب الرائع ، بالمنشدين بالألحان¹

ففي هذه الأبيات يصف الشاعر الليل بأبسط الألفاظ وجزالة التركيب، وعلى الرغم من بساطتها إلا أنها تؤدي غرضها بوجه تام، فتعوض بالمتلقي في معاني عظيمة ونبيلة تعبر عما يدور في نفس الشاعر .

وفي غرض الشكوى : عبر الشاعر إيليا أبو ماضي عن الحزن قائلاً :

لا رخام أنا فأنحت تمثاً*** لا وصخرة تكون بناء

لست أرضاً فأرشف الماء *** أو ماء فأروي الحدايق الغناء

حجر أغير أنا وحقيـر *** لا جمالا لا حكمة لا مضاء

فلأغادر هذا الوجود وأمضي *** بسلام ، إني كرهت البقاء

وهوى من مكانه ، وهو يشكو *** الأرض والشهب والدجى والسماء²

فالأبيات عبارة عن شكوى الحجر الصغير الذي كره البقاء في هذا الوجود، وحزنه الشديد لأنه عديم الفائدة، وقد عبر الشاعر عن ذلك بألفاظ بسيطة واضحة، وموحية تستلهم إحساس المتلقي، فيدرك معانيها ببساطة .

أما في غرض الغزل : فكان له نصيب في قصائد شعراء المهجر، ومن ذلك قصيدة أبو ماضي " أسالوها " :

أسالوها ، أو فأسالوا مضناها *** أي شيء قالت له عيناها ؟

فهو في نشوة وما ذاق خمرا *** نشوة الحب هذه إيّاها

¹ -المرجع نفسه ، تروترا ب ، ص 497 .

² -المرجع نفسه " الجداول " ، ص 38 .

داهل الطرف شارد الفكر لا يلح حسنا في الأرض إلا رآها
السواقي لكي تحدث عنها *** والأقاحي لكي تذيع شذاها
وحفيف النسيم في مسمع الأوراق *** نجوى تبثها شفتاها
يحسب الفجر قبسة من سناها *** ونجوم السماء بعض حلاها
كان ينهى عن الهوى نفسه الظمأى *** فأمسى يلوم من بينهاها¹
فالشاعر يتغزل بمحبوبته مستعملا لذلك أساليب لغوية قديمة، وألفاظ بسيطة وجزلة،
وأسلوبا رقيقا يستهوي المتلقي .
وفي غرض الرثاء : نجد الشاعر يرثي أباه في قصيدة " أبي " فيقول فيها :
أبي خاني فيك الردى فتقوضت *** مقاصير أحلامي كبيت من التبن
فليس سوى طعم المنية في فمي *** وليس سوى صوت النوادب في أذني
وما صور الأشياء بعدك غيرها *** ولكنها قد شوهتها يد الحزن
على منكبي تبر الضحى وعقيقه *** وقلبي في نار وعيناى في دجن²
ليقول : فأعظم مجدي كان أنك لي أب *** وأكبر فخري كان قولك ذا أبني³
استخدم الشاعر في رثاءه لأبيه لغة تحاكي لغة القدماء في الرثاء ، فيها من الجزالة
والرصانة ما يؤثر في المتلقي ، مما يدفعه إلى التفاعل معها مدركا مغزاها ومن ثم
تحقيق استجابة جمالية .

¹ - من أعمال إيليا أبو ماضي " تروترا ب " ص 499

² - المرجع نفسه ، " الخماثل " ، ص 321

³ - المرجع نفسه ، ص 324

وفي غرض المدح: كانت قصائد شعراء المهجر مقصورة على مدح الأنبياء والصحبة، وقادة الثورات، ومدح أصدقائهم في مناسبات معينة، من غير أن يرد بذلك كسب المال ونيل العطاء، أو المناصب المرموقة، وفي ذلك يقول إيليا أبو ماضي في قصيدة " الفقير " :

لا تسألوني المدح أو وصف الدمى *** إني نبذت سفاسف الشعراء

باعوا لأجل المال ماء حياتهم *** مدحا وبت أصون ماء حياتي

لم يفهموا ما الشعر ، إلا أنه *** قد بات واسطة إلى الإثراء

فلذاك ما لقيت غيـر مشـبـب *** بالغانيات وطالب لعطاء

ضاقـت به الدنيا الرحـيـبة فأـتـى *** بالشعر يستجدي بني حواء

يشقى القريض بهم وما سعدوا به *** لولاهم أضحي من السعداء¹

فالشاعر في هذه الأبيات ينبذ من شعره المديح، ووصف الدمى والتشبيب بالغانيات كما ينبذ المدح من أجل اكتساب المال ونيل العطاء، وقد عبر عن ذلك بألفاظ جزلة وعبارات قوية توحى بأصالته للتراث اللغوي القديم .

ومن هنا كانت الجزالة والرصانة اللغوية في العمل الشعري بالإضافة إلى البساطة والوضوح، عاملا مهما يدل على أصالة وقدرة الشاعر على توظيف اللغة الرصينة في التعبير عن تجربته الشعرية ونفسيته، وما يجول بخاطره في مختلف الأغراض الشعرية حتى يجعل المتلقي يتجاوب معها بكل سهولة ويدرك معانيها، وهذا ما يخلق استجابة جمالية بين المبدع والمتلقي من خلال العمل الشعري .

¹ - من اعمال إيليا أبو ماضي " الجداول " ، ص 214 .

2- المصادر الشخصية (المبدع)

بالإضافة إلى مصادر الجمال اللغوية توجد مصادر من نوع آخر للجمالية، وهي شخصية خاصة بالمبدع، ترتبط بنفسية الشاعر وذاته، فتحقيق الاستجابة الجمالية يتطلب مصادر لغوية وأخرى بشرية خاصة بالمبدع، والشعر المهجري حافل بالأشعار التي تبرز الجانب الشخصي والوجداني للشاعر، وتعكس خبرة المبدع في تعامله مع الواقع، ومن ذلك :

أ- الذاتية : إنّ بروز الجانب الذاتي للشاعر المهجري من أهم ما يميز الشعر المهجري، وتبرز ذاتية الشاعر من خلال طبائعه وانفعالاته وعواطفه، ونوازعه النفسية، وكذا تجربته الشعرية فكل شاعر نظرتة الخاصة إلى الوجود تعكس " أنا " الشاعر في علاقتها بالواقع ونماذج الذاتية في الشعر المهجري كثيرة ، ومنها قصائد إيليا أبو ماضي يقول في قصيدة من أنا :

أنا من أنا يا ترى في الوجود ؟ *** وما هو شأني وما موضعي ؟

أنا قطرة لمعت في الضحى *** قليلا على ضفة المشرع

سيأتي عليها المساء فتغدو *** كأن لم ترق ولم تلمع

أنا نغمة وقعتها الحياة *** لمن قد يعي ولمن لا يعي¹

ليقول : أنا موجة دفعتها الحياة *** إلى أوسع فإلى أوسع

أنا الآن في سكرة لا أعني *** فيا ليتني دائما لا أعني²

¹ - من أعمال إيليا أبو ماضي " الخمائل " ، ص 388

² - المرجع نفسه ، ص 390

فالشاعر يطرح تساؤلا على نفسه موجها إلى الضمير " أنا " فهو في حيرة من أمره ويبحث عن نفسه وذاته وما شأنها في هذا الوجود، أتراها كقطرة ماء، أم نغمة أم موجة دفعتها الحياة إلى الأعماق، فهو لا يعي ذاته ويتمنى أن لا يعي أبدا. وفي آلام الاغتراب يطرح الشاعر نفس التساؤل في قصيدة أمنية المهاجر، يقول :

أيها السائل عني من أنا ؟ *** أنا كالشمس إلى الشرق انتسابي

لست أشكو إن شكا غيري النوى *** غربة الأجسام ليست باغتراب

أنا في نيويورك بالجسم والروح *** في الشرق على تلك الهضاب

أنا في الغوطة زهر وندى *** أنا في لبنان نجوى وتصابي¹

عبر الشاعر عن الأنا الذاتية، راسما بذلك صورة الشاعر المهاجر وأمنيته في العودة إلى أرض وطنه، وتمتعه بطبيعتها الساحرة محاولا أن يخفف آلام اغترابه .

ثم ينتقل الشاعر إلى الفخر بنفسه، وحبه للقيم الإنسانية الفاضلة، يقول في قصيدة " أنا " :

حر ومذهب كل حر مذهبي *** ما كنت بالغاوي ولا المتعصب

إني لأغضب للكريم ينوشه *** من دونه وألوم من لم يغضب

وأحب كل مهذب ولو أنه *** خصمي وأرحم كل غير مهذب

يأبى فؤادي أن يميل إلى الأذى *** حب الأذية من طباع العقرب²

ليقول : إني إذا نزل البلاء بصاحبي *** دافعت عنه بناجدي وبمخلمي

¹ -إيليا أبو ماضي الديوان ، ص 154 .

² -من أعمال إيليا أبو ماضي " الجداول " ، ص 99 .

وشددت ساعده الضعيف بساعدي *** وسترت منكبه العري بمنكبي¹

-يوحي عنوان القصيدة " انا " بالنزعة الذاتية، والرفعة، وقد عبّر الشاعر في هذه الأبيات عن ذاته وعواطفه وإنسانيته وحبّه للحرية الإنسانية، والخير والحق بين الإنسان وأخيه، وقد استعمل الشاعر ضمير المتكلم والغائب على وجه الخصوص لأنه في صدد الحديث عن العلاقات التي تحكمه بمجتمعه، وليبين انفتاحه وتواصله مع الآخرين .

والمتلقي حين يتلقى هذه الأبيات يحس بتلك النزعة الإنسانية الداعية إلى مكارم الأخلاق بين بني البشر، مما يخلق تفاعلاً بين المتلقي والعمل الشعري، فتحدث الاستجابة الجمالية .

ب-التقمص :

التقمص هو شعور لكّنه على عكس المشاعر الأخرى، « يشعر خلاله المرء بأنّه جزء من شخص أو موضوع آخر، فمشاعر وانفعالات مثل الأسى والحنين والحزن والفخر، تتميز عادة بأنّها تكون موجودة داخل الفرد لكن المشاعر نفسها خلال التقمص تتم معاشتها على نحو تلقائي، على أنّها تتعلق بالشخص أو الشيء المدرك ، ويترتب على ذلك أن تتم المعاشة مع هذا الشخص (أو الشيء) ويتم الشعور به كما لو كان توجد لديه " نفس " أو " روح " خاصة أيضاً»² ، فالتقمص هو أن يشعر الشاعر بأنّه جزء من شخص أو موضوع آخر .

فقد تأثر شعراء المهجر بغيرهم من الشعراء، «ومن الذوات التي عمد الشاعر المهجري إلى ترديد أصواتها وتقمص مواقفها الشهيرة، الذوات الشاعرة القديمة التي

¹ - من أعمال إيليا أبو ماضي ، ص 100

² - شاعر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، ص 35

نهل المهجريون من أشعارها وتأثروا بمواقفها الاجتماعية والنفسية والفكرية، كما تأثروا بأرواحها الفنية والأدبية»¹ ، ومن ذلك تأثر الشاعر إيليا أبو ماضي بالشعراء العرب القدامى ونسج على منوالهم .

ومنها تقمص شخصية النابغة الذبياني عند قوله :

فإنك شمس والملوك كواكب *** إذا طلعت لم يبد منهن كوكب²

وعلى منواله يقول إيليا أبو ماضي :

كأنني بدر والزهور كواكب *** وذا الروض أفق ضاء بالبدر والزهر³

واستعار أبيات الشاعر الجاهلي عنتر بن شداد حينما قال :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل *** مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها *** لمعت كبارق ثغرك المبتسم⁴

ليقول أبو ماضي في قصيدة " ذكرى " :

ولقد ذكرتك بعد يأس قاتل *** في صحوة كثرت بها الأنواء

فوددت أني غرسة أو زهرة *** ووددت أنك عاصف أو ماء⁵

كما نجده تقمص بيت امرؤ القيس الذي قال فيه :

¹ - محمد الأمين شيخة ، التشكيل الأسلوب في الشعر المهجري الحديث ، ص 442 .

² - النابغة الذبياني ، الديوان ، إعتنى به وشرحه : حمدو طماس ، ط2 ، بيروت : 2005 ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، ص 20

³ - إيليا أبو ماضي ، الديوان ، ص 408

⁴ - عنتر بن شداد ، الديوان ، ط4 ، بيروت : 1893 ، مطبعة الآداب ، ص 84

⁵ - إيليا أبو ماضي ، الديوان ، ص 97 .

وليل كموج البحر أرخى سدوله *** علي بأنواع الهموم ليبتلي¹

ليقول أبو ماضي في قصيدة الأسرار :

وإذا الدجى أرخى علي سدوله *** أدركت ما في الليل من أسرار²

فالإلى نفس المعنى ذهب إيليا أبو ماضي ليعبر عن همومه، ومن خلال ما سبق نجد أنّ الشاعر إيليا أبو ماضي تقمص شخصيات عربية قديمة من العصر الجاهلي أمثال " النابغة الذبياني ، وعنترة ، وامرؤ القيس " ونسج على منوال بعض أبيات قصائدهم، فالمتلقي حين يقرأ تلك الأبيات لإيليا أبي ماضي يدرك أنه يستحضر الشعر العربي القديم، فيشعر بلذة جمالية، إذا فإن عاملي الذاتية والتقمص، واللذان يخصان شخصية المبدع، مهمين في إبراز جمالية الشعر المهجري، وتذوقه من قبل المتلقي .

ثانيا: آثار التلقي الجمالية في شعر إيليا أبي ماضي :

إنّ تحقيق الاستجابة الجمالية في العمل الإبداعي يستوجب توفر مصادر للجمالية قد تكون لغوية أو شخصية خاصة بالمبدع ، وللوصول إلى القيم الجمالية في النص الشعري يجب وجود متلقي يستقبل هذا الإبداع، ويكشف عن قيمه الجمالية، على أنّ هذا المتلقي يجب أن تتوفر فيه شروط حتى يتم استيعاب القيم الجمالية في النص الإبداعي، والمتمثلة في : القدرات النفسية والعقلية والفنية وسلامة خبرة المتلقي وذوقه الجمالي، فالعمل الفني الإبداعي هو الوسيط الفني أي المساحة الإبداعية بين الفنان المبدع والمتلقي، ويتقيد الفنان داخل هذه المساحة الإبداعية ويكون مأسورا لديها، فبعد أن يتم الفنان عمله الفني يتحرر من الأسر الإبداعي، «بعد ذلك يدخل المتلقي

¹—امرؤ القيس ، الديوان ، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمان المصطاوي ، ط2 ، بيروت : 2004 ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، ص 48 .

²—من أعمال إيليا أبو ماضي ، " الجداول " ، ص 72 .

ذلك الأسر الجمالي ويتحاور مع العمل الفني الإبداعي من خلال خبراته ومكتسباته وإدراكاته وقدراته التذوقية وإحساساته الجمالية... وهنا تتم المشاركة الإبداعية للمتلقي في إبرازه للقيم الجمالية عند استخراج المعاني الجمالية التي أودعها الفنان»¹، وهكذا تتم الدورة الإبداعية بين فنان ومتلقي وبينهما وسيط فني هو العمل الإبداعي، وبذلك تبرز جمالية التلقي، فهي «عمل فني مشترك يسهم فيه صاحب النص بخلاصة التجربة التي عايشها، وتسهم فيه اللغة بدلالاتها الموحية، كما يسهم فيه الدارس أو المتلقي بخبرته الفنية وذوقه الجمالي، فالعلاقة بين هذه المحاور تشبه بناء هرميا، قمته النص في لغته ومعطياته، وقاعدته المتلقي والأديب»². فجمالية التلقي هي خلاصة تلك العلاقات التي تتكامل في لحظات التفاعل مع النص؛ ويعد الشعر المهجري ظاهرة فنية غنية بالجمالية لما يتوفر عليه من خصائص ومصادر للجمال الأدبي واللغوي، يتذوقها المتلقي، فتحدث تأثيرا لديه، ومن آثار التلقي الجمالي للشعر المهجري، تحقيق المتعة والمنفعة والمثالية والشعورية والواقعية .

1-تحقيق المتعة والمنفعة :

يُعدّ عاملي المتعة والمنفعة من الشروط الأساسية في كل عمل فني إبداعي، يسعى إلى تحقيق الجمالية، «وتأتي المتعة الجمالية عن طريق الحواس وتبعث السرور في النفس، فتملاً كياننا الروحي وتكشف عن مطالبه ، وتشبع مشاعرنا»³، فهي تعمل على إشباع إحساس المتلقي من خلال العمل الفني، «وعمليات الإشباع للمتعة الخاصة بالأعمال الجمالية والفنية خاصة عمليات ترتبط بدرجة كبيرة بعملية الإشباع

¹ -مصطفى عبده ، المدخل إلى فلسفة الجمال " محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية " ، ط2 ، القاهرة : 1999 ، مكتبة مدبولي ، ص 165 .

² - محمود عباس عبد الواحد قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي ، " دراسة مقارنة " ، ط1 ، مصر : 1996 ، دار الفكر العربي ، ص 95 .

³ - جان برتليمي ، بحث في علم الجمال ، ترجمة : أنور عبد العزيز ، مراجعة : نظمي لوقا ، القاهرة : 1970 ، دار نهضة مصر ، ص 384 .

للتوقعات المصاحبة للاستمتاع بالعمل الفني والتذوق، ومن ثم التفضيل الجمالي له¹ ويختلف التفضيل الجمالي والمتعة التي يشعر بها المتلقي من شخص إلى آخر، فلكل فرد طبيعته المميزة واستمتاعه الخاص بالعمل الفني .

أما المنفعة، فهي أساس في الحكم والإدراك الجمالي وحسب أفلاطون فإن الجميل هو ما كان ممتعا ونافعا ... فالحكم الجمالي القائم على أساس المنفعة حكم شخصي لا يقيم وزنا للغاية في حد ذاتها، في العمل الفني ولكن ليس معنى هذا أن يرفضها، فإن كل غاية نافعة بالضرورة² . فعند إدراكنا الجمالي لموضوع ما، نعمل من أجل تذوقه، وندرك إن كان الموضوع جذابا أو مثيرا أو مليئا بالحيوية، ونحن في تذوقنا للموضوع يتطور الموقف الجمالي من مجرد التمتع إلى الحصول على المنفعة³ .

ومن نماذج المتعة والمنفعة في الشعر المهجري الحديث ، ما جاد به شعر إيليا أبي ماضي ، ومن أبرز صورها ، قوله في قصيدة " كم تشتكي " :

كم تشتكي وتقول إنك معدم *** والأرض ملكك والسماء والأنجم

ولك الحقول وزهرها وأريجها *** ونسيمها والبلبل المترنم

والماء حولك فضة رقرقة *** والشمس فوقك عسجد يتضرم

هشت لك الدنيا فما لك واجما؟ *** وتبسمت فعلام لا تبسم

إن كنت مكتئبا لعز قد مضى *** هيهات يرجعه إليك تتدم

أو كنت تشفق من حلول مصيبة *** هيهات يمنع أن تحل تجم

¹ -شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، ص 40 .

² - ينظر : عز الدين اسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص 75

³ - ينظر : رمضان الصباغ في نقد الشعر العربي المعاصر " دراسة جمالية " ، ط1 ، الاسكندرية : 2002 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ص 119 .

أو كنت جاوزت الشباب فلا تقل *** شاخ الزمان فإنه لا يهزم

أنظر فما زلت تطل من الثرى *** صور تكاد لحسنها تتكلم¹

ليقول : يا من يحن إلى غد في يومه *** قد بعت ما تدري بما لا تعلم

قم بادر اللذات قبل فواتها *** ما كل يوم مثل هذا موسم²

لقد خاض الشاعر غمار الحياة وتجاربها وتفاعل مع أحداثها وظروفها حتى استطاع أن يحدد موقفه إزاء التجارب ، فنجد دعواته المخلصة إلى التفاؤل التي يبثها الشاعر بين ثنايا شعره العذب الرقيق فتنساب إلى أعماق النفس، محدثة متعة جمالية تزيل رواسب اليأس والأحزان، وتمسح عن الخيال المكتئب صورة الواقع الأليم، فينتفع بها المتلقي ويبادر إلى تغيير نظرتة لنفسه من التشاؤم إلى التفاؤل، فقد استطاع الشاعر بأسلوب الإقناع المميز أن يكسب الظواهر الطبيعية مدلولات متقابلة تبهج نفس القارئ من خلال الوصف الفني والكلمة الهادفة الموجبة .

ويقول أيضا في قصيدة " فلسفة الحياة " :

كن هزارا في عشه يتغنى *** ومع الكبل لا يبالي الكـبولا

لا غرابا يطارد الدود في الأر ***ض وبوما في الليل يبكي الطلولا

كن غديرا يسير في الأرض رقا ***قا فيسقي عن جانبيه الحقولا

لا وعاء يقيد الماء حتى *** تستحيل المياه فيه وحولا

كن مع الفجر نسمة توسع الأز ***هار شما وتارة تقبلا

¹ -إيليا أبو ماضي ، الديوان ، ص 610

² - المرجع نفسه ، ص 611

لا سموما من السواقي اللواتي *** تملأ الأرض في الظلام عويلا

ومع الليل كوكبا يؤنس الغا***بات والنهر والربى والسهولا

لا دجى يكره العوالم والنا***س فيلقي على الجميع سدولا

أيهذا الشاكي وما بك داء *** كن جميلا تر الوجود جميلا¹

في هذه الأبيات دعوة من الشاعر للإنسان لكي يكون مصدرا للجمال، وقد اختار من مظاهر الطبيعة الجميلة وسيلة لينصح ويرشد بها المتلقي، فيتمتع المتلقي بتلك العبارات، والتي تمدّه بالقيم الجمالية ليصل إلى المنفعة المنشودة التي يرمي الشاعر إليها، وهي حتّ الناس أن تكون مصدرا للتقاول ونبذ التشاؤم، ودعواه إلى أنّ الإنسان عندما يجعل الجمال عنصرا من حياته سيرى كل شيء جميلا .

2- أثر المثالية :

المثالية نزعة تجعل الفكر وحده منبعاً للوجود الإنساني، «وهي نزوع أخلاقي لتحقيق مثل عليا، كمعايير السلوك وتقابل " المادية " وتعارضها كمعنى ميتافيزيقي»²؛ وكما يرى الناقد كولردج الذي استطاع أن يبلور قضايا النقد التي سبقته في شبه مذهب كلي متماسك، من خلال دراسته الطويلة وتأمله العميق للفلسفة المثالية في الفن، وقدرته على استبطان أعماق النفس، وإدراك ما يدور فيها من أسرار في مراحل الإبداع الفني واكتشاف الحقائق الذاتية، وأنها كانت أكبر معين له على اكتشاف ملكة الخيال في الشعر، والتي كشفت له عن وجود قدرة خاصة لدى الشاعر تمكنه من الخلق الأدبي، وتحقق لديه جوا مثاليا خاصا³، وهذه القيم الرفيعة ذات النظر والتأمل

¹ -إيليا أبو ماضي، الديوان، ص 606 .

² -سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ص 208 .

³ -ينظر : محمد زكي العشماوي ، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر ، ص 79 .

العميق تحقق الجو المثالي في القصيدة، من خلال تعبير المبدع عن الحالة النفسية والوجدانية لديه، كما يستخدمها المتلقي لفهم وتفسير دلالات القصيدة، ومردّها إلى ما فيها من جمال أو ما تحققه من إحساس يرضي المتلقي. وفي الشعر المهجري الحديث نماذج عديدة تشع بالتأمل وتنزع إلى المثالية الخالصة، والتي تتخذ من الشك طريقاً للتعبير عن التساؤلات والأحاسيس العميقة، «لكنّه الشك الباحث عن الحقيقة المتطلع إلى تحقيق مثل إنسانية عليا خالدة لا تتطرق إليها الشكوك ولا تُلْفَعها الأوهام»¹. فهي تهدف إلى تحقيق المثالية. ويعد إيليا أبو ماضي من الشعراء المهجريين الذين حفل شعرهم بالتأملات والنزوع إلى المثالية، والتي تؤثر في نفس المتلقي وتأخذه إلى عالم المثل، فيقول في قصيدة " تأملات "

ليت الذي خلق الحياة جميلة *** لم يسدل الأستار فوق جمالها

بل ليته سلب العقول فلم يكن *** أحد يطل نفسه بمنالها

لله كم تغري الفتى بوصالها *** وتظن حتى في الورى بوصالها

تدنيه من أبوابها بيمينها *** وترده عن خدرها بشمالها

ليقول : ذهب الصبا وأنا أعالج سرها *** متحيراً في كنهها ومآلها²

في الأبيات السابقة نزع تأملية، يتأمل فيها الشاعر الحياة، متمنيا أن الله كما خلق الحياة جميلة، وأسدل الستار فوق جمالها، ليته سلب عقول البشر، حتى لا تغتر نفسه بمغرياتها، فيبقى مترنحاً في ملذاتها، وهذه الصور تأخذ المتلقي إلى محاوره العقل ليحقق الحياة المثالية

ويتأمل إيليا في ماضي أمته المجيد ، فيقول في قصيدة " الغد لنا "

¹ - عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص 89 .

² - إيليا أبو ماضي ، الديوان ، ص 584 .

تأملت ماضيـنا المجيد الذي انقضى *** فزلزل نفسي أنه أنهار وأنهدّا
وكيف إمّحت تلك الحضارات كلها *** وصارت بلاد أنبتتها لها لحدا
وصرنا على الدنيا عيال وطالما *** تعلم منا أهلها البذل والرفدا¹
ليقول : إذا الأمس لا يرجع فإن لنا غدا *** نضيء به الدنيا ونملاً حمدا
وتلبسنا في الليل آفاته سنا *** وتتشربنا في الفجر أسنانه نــــدا
فإن نفوس العرب كالشهب تنطوي *** وتخفي، ولكن ليس تبلى ولا تصدأ²
في هذه الأبيات يستعرض الشاعر ماضي أمته الذي انقضى وأنهدّ ، وامّحت
حضاراته، وفيها نزعة مثالية متفائلة لمستقبل الأمة وأنّ الغد سيكون أفضل، تشعر
المتلقي بالاطمئنان عليه، وتثير في نفسه رغبة وأملا في تحقيق هذه الغاية .
وتتسرب إلى نفس إيليا أبو ماضي " رهبة الموت، فيقول في قصيدة " الدمعة
الخرساء "

أكذا نموت وتنقضي أحلامنا *** في لحظة وإلى التراب نصير ؟

وتموج ديدان الثرى في أكبد *** كانت تموج بها المنى وتمور³

فالشاعر يتأمل في نهاية الإنسان وموته، وأنّ الإنسان مهما كانت له أحلام وأمنيات
في الحياة، سيكون مصيره الثرى، ودود ينخر جسمه، فتؤثر في نفس المتلقي وتجعله
يهيم بخياله وفكره إلى حتمية الفناء وأن مآلنا إلى التراب .

¹ -من أعمال إيليا أبو ماضي ، تيروترا ب ، ص 483

² - المرجع نفسه ، ص 484

³ - إيليا أبو ماضي ، الديوان ، ص 362 .

إنّ التجربة الجمالية الكاملة هي تجربة تأمل، والتجربة التأملية التي يخوضها الشاعر يعطينا من خلالها صورة صادقة عن أفكاره ومشاعره وتصوره للعالم من حوله فيثير بذلك كوامن نفس المتلقي، ليندمج في تجربة الشاعر التأملية ويتفاعل معها .

3-أثر الشعورية :

إنّ الشعورية هي مجموعة الأحاسيس والعواطف والمشاعر المختلفة، وفي الشعر هي التعبير وإحساس يختلج صدر الشاعر ليوصله إلى المتلقي، فالتجربة الشعورية لدى الشاعر إذا لم يعبر عنها بقيت مضمرة وملكا لصاحبها، « والعمل الفني تعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية، فيكون العمل الفني غاية في ذاته لمجرد أن يحقق لونا من ألوان الحركة الشعورية لذلك فإنّ الدافع للقيام بالعمل الفني يكون الإنفعال بمؤثر ما، ومعيّار تقديره هو قدرة الفنان على التعبير عن تجربته ونقلها إلينا، لتثير في نفوسنا إنفعالا مستمدا من تجربة صاحب العمل الفني»¹، فالهدف من التجربة الجمالية يكمن في الشعور، وأن الانفعال أساسي للتذوق الجمالي، وهو ما نسعى إليه حين ننظر إلى الأعمال الفنية، كما أنّ الشعور هو إكتمالا لتأمل ونجاحه. «والشعورية في الشعر المهجري هي الأحاسيس المتجلية في القصائد المهجريّة من خلال الأساليب التعبيرية ، وهي أحاسيس تنبض بمشاعر مختلفة يسوقها الشاعر المهجري إلى المتلقي فيتعايش بدوره مع هذا الإحساس ويتيه في معالمة»² .

والشعر المهجري زاخر بالمشاعر الإنسانية فشعراؤه يتميزون بقوة إدراكهم وإحساسهم بما يحيط بهم، وهو إحساس نابع من تجربتهم في الحياة، وما عاشوه من قهر وحرمان وحنين إلى أوطانهم، ومن نماذج ذلك الشاعر إيليا أبو ماضي والذي حفل شعره بالمشاعر والعواطف الجياشة ، ففي مجال الحنين إلى الأوطان ، يشترك أبو ماضي

¹ - هديل بسام زكازنة ، المدخل في علم الجمال ، ص 67 .

² - محمد الأمين شيخة ، التشكيل الأسلوبي في الشعر المهجري الحديث ، ص 468 .

إلى بلده " لبنان " فيصور ذكرياته التي تحرك أشواقه الدفينة في ذاته ، وتهز مشاعره
وكيانه، فهو يحن إلى وطنه، ومراتع صباه التي لطالما أحبها بجميع صورها التي
تجول في خاطره، ويحبّ رؤياها فيقول في قصيدة " ذكرى " :

إني أمرؤ لا شيء يطرب روحه *** ويهزها كالزهر والألحان

اللحن من قمرية أو منشد *** والزهر في حفل وفي بستان

هذا يحرك بي دفين صبابتي *** ويهز ذاك مشاعري وكياني

يهوى الملاحه ناظري صورا ترى *** وأحبّها في مسمعي أغاني

وأحبّها نورا جميلا صافيا *** متألقا في النفس والوجدان

وأحبّها سحرا يرف مع الندى *** ويموج في الألوان كالألوان

وأحبّها ذكرى تطيف بخاطري *** لأخ هويت ، وغادة تهواني

أو مجلس للحب في ظل الصبا *** إن الحياة جميعها هذان

أو في خيال منازل اشتاقها *** كم من جمال في خيال مكان

ولقد نظرت إليكم فكأنما *** أنا في الربيع وفي ربي لبنان

أصغي إلى النسومات تروي للربى *** ما قالت الأشجار للغدران¹

في هذه القصيدة يعبر الشاعر عن مشاعره وحنينه إلى وطنه " لبنان " وقد صور
طبيعة بلده الساحرة في أبهى حلّة، والتي يحلم أن يكون بين أحضانها، فشاعرنا متم

¹ - من أعمال إيليا أبو ماضي " الخمائل " ، ص 328 .

بالطبيعة، كونه شاعر رومانسي حالم، وكونه نما وترعرع في قرية ساحرة الجمال، لذلك نجده قد تغنى في الكثير من شعره بالطبيعة والغاب .

وإذا كانت مشاعر الغربة والحنين إلى الوطن من سمات الشعر المهجري، فشاعرنا إيليا أعطى قدرة على تصوير تلك المشاعر بأسلوب شعري سلس يمتاز بوضوح الرؤية وعمق الفكرة وجزالة العبارة، يقول في قصيدة " تأملات " :

ومليحة في وجهها ألق الضحى *** والسر والصهباء في أقوالها

قالت : أينسى النازحون بلادهم ؟ *** ما هاج حزن القلب غير سؤالها

الأرض ، سوريا أحب ربوعها *** عندي ولبنان أعز جبالها

والناس أكرمهم علي عشيرها *** روعي الفداء لرهطها ولآلها

تلك المنازل كم خطرت بساحها *** في ظل ضيغها وعطف غزالها

وشدوت مع أطيارها ، وسهرت مع *** أقمارها ورقصت مع شلالها¹

ليقول : تشتاق عيني قبل يغمضها الردى *** لو أنها اكتحلت ولو برمالها²

فهذه الأبيات تعبر عن مشاعر الشاعر اتجاه بلده، وحبه ووفائه لأرضه وبلاده والاعتزاز ببهائها وجمالها وروعيتها، كما وتدل على اعتزاز الشاعر وافتخاره بأمجاد بلاده فليس لقلبه أحب منها، فيتمنى أن لو تكتحل عيناه حتى برمالها قبل أن يغمضها الموت .

والشاعر لا يهتم بمشاعره الخاصة فقط، بل يصور مشاعر غيره، ويعبر عن شعورهم فيقول في قصيدة " الفقير " :

¹ - من أعمال إيليا أبو ماضي "الخمائل"، ص 312 .

² - المرجع نفسه ، ص 313 .

همّ ألمّ به مـع الظلماء *** فنأى بمقتله عن الإغفاء
تعيس أقام الحزن بين ضلوعه *** والحزن نار غير ذات ضياء
يرعى نجوم الليل ليس به هوى *** ويخاله كلفا بهن الرائي
في قلبه نار (الخليل) وإنّما *** في وجنتيه أدمع الخنساء
قد عضّ اليأس الشديد بنابه *** في نفسه والجوع في الأحشاء
يبكي بكاء الطفل فارق أمّه *** ما حيلة المحزون غير بكاء¹
ليقول : وارحمنا للبائسين فإنّهم *** موتى وتحسبهم من الأحياء²

فالشاعر في هذه الأبيات يعبر عن حالة الفقير والتعاسة التي يعيش فيها، ومشاعر الحزن الذي أصبح رفيقه، واليأس الذي تسلل إلى قلبه، فبات يرعى نجوم الليل، جراء شدة الجوع، فلا يجد ملاذا سوى الدموع، فيبكي بكاء اليتيم الذي فارق أمّه، وقد عبّر عن هذه المشاعر بصورة تؤثر في نفس المتلقي، وتثير إحساسه بالتعاطف والشفقة على الفقراء فلا يبخل عليهم ولو الدعاء لهم بالرحمة .

ونجد للحبّ متّسعا رحبا في قلب الشاعر وملكة واسعة في خياله، فكان شاعر الحبّ والجمال، فقد كان يحب المجد ويهيم بالسعادة، وكان يحب الناس ويريدهم أن يتحابّوا فالحبّ عنده موقظ للشعور إذا غفا، يقول في قصيدة " كن بلسما " :

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا *** لولا الشعور الناس كانوا كالدمى

أحباب فيغدوا الكوخ نيّرا *** أبغض فيمسي الكون سجنا مظلما

¹ -من أعمال إيليا أبو ماضي " الخمائل " ، ص 212

² - المرجع نفسه ، ص 213 .

ما الكأس لولا الخمر غير زجاجة *** والمرء لولا الحب إلا أعظما¹

وهكذا استطاع الشاعر بقوة مشاعره وأساليبه التعبيرية الفذة أن يعايش المتلقي في الجو الشعوري، ويشاركه أحاسيسه، مما يخلق لذة جمالية لدى المتلقي من خلال مبادلة المبدع الشعور بمختلف أنواعه .

4-النزوع إلى الواقعية :

الواقعية نزعة تعبر عن الوعي الإنساني في تعبيره وتلقيه وتذوقه للإبداع الفني، « و هي عقيدة تقترح معرفة دقيقة بالواقع، وتؤكد على واقعية ما يظهر لنا من أشياء من جهة وعلى الميزات الحسنة المندمجة في طبيعة الأشياء ذاتها من جهة أخرى»² ، ولابد للفن أن يعبر عن الحياة والواقع المعاش، «لتظل الصلة قوية بين المبدع والمتذوق من خلال الواقعية التي تمثل أفكارهم وهمومهم ومشاعرهم وطموحاتهم وآمالهم وحررياتهم، فالواقعية لا تعزل الإنسان عن واقعه، بل تسعى إلى فهم جدل العلاقات الاجتماعية المتميزة»³ ، فالواقعية هي تصوير لحقائق الوجود، والكاتب الواقعي هو « الذي ينجح في تجنب أي أساس اختياري لنقله، وتصويره الحياة، فيعطينا المنظر أو الموقف كما تراه العين»⁴، فيتولد الإحساس بالدهشة والانتعاش الجمالي، والعمل الفني الواقعي هو الذي يولد مع الدهشة قلقا وتوترا (للفنان والمتلقي) ليحاولا فك تلك الرموز التي ظهرت من خلال الدهشة التي أوقفتهم للحظات تأملية، بحيث يتمكن ذلك الموجود الجمالي جذبا إليه وإدخالها في الأسر الجمالي، المساحة الإبداعية للفنان، والمسافة الفكرية للمتلقي⁵ . والواقعية في الشعر المهجري

¹ -من أعمال إيليا أبو ماضي " الخمائل " ، ص300 .

² - سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ص 232 .

³ -جان برتلمي ، بحث في علم الجمال ، ص 176 .

⁴ - عز الدين اسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ص 320

⁵ - ينظر : جان برتلمي ، بحث في علم الجمال ، ص 177 .

مستمدة من واقع المجتمع المعيشي المحيط بالشعراء، وقد عبّروا عن ذلك لينقلوا مشاعرهم ومعاناتهم في الوسط الذي عاشوا فيه إلى بقية المجتمع ومنهم الشاعر إيليا أبو ماضي الذي صور واقع مجتمعه وعبّر عن عواطفه ومشاعره إزاءه فيقول في قصيدة " لم يبق غير الكأس " :

فكرت فيما نحن فيه كأمة *** وضربت أخماسي إلى أسداسي
فرجعت أخيب ما يكون مؤمل *** راج وأخسر ما يكون الحاسي
نرجو الخلاص بغاشم من غاشم *** لا ينفذ النحاس من نحاس
ونقيس ما بين الثريا والثرى *** وأمورنا تجري بغير قياس
نغشى بلاد الناس في طلب العلى *** وبلادنا متروكة للناس
ونكاد نفترش الثرى وبأرضنا *** للأجنبي موائد وكراسي
ونلوم هاجرنا على نسيانه *** واللائم الناس أول ناسي¹

في هذه الأبيات يصور الشاعر واقع أمته وهو في بلاد الغربة ، وخيبة الأمل بادية عليه إذ هو يطلب العلى في بلاد الناس ، بينما بلاده متروكة للأجنبي وصول ويجول فيها ، بما لذ وطاب ، وهو محتاج لنعيمها ، فهو يتحسر لهجرانها وبعده عنها ، كما يعبر الشاعر عن واقع الحياة الإنسانية ، وأن مآلها الموت فيقول في قصيدة " إن الحياة قصيدة " :

ما للقبور كأنما لا ساكن *** فيها وقد حوت العصور الماضية
طوت الملايين الكثيرة قبلنا *** ولسوف تطوينا وتبقى خالية

¹ - من أعمال إيليا أبو ماضي ، " الخمائل " ، ص 289 .

أين ألمها وعيونها وفتونها *** أين الجبابر والملوك العاتية

زالوا من الدنيا كأن لم يولدوا *** سحقهم كف القضاء القاسية

إن الحياة قصيدة أعمارنا *** أبياتها والموت فيها القافية

متّع لحظاك في النجوم وحسنها *** فلسوف تمضي والكواكب باقية¹

فالشاعر نقل صورة حية عن واقع الحياة، وأنّ الإنسان مهما عاش فيها وطغى
وتجبر فإنّ مصيره الموت المحتم، وسيكون مسكنه قبر يطويه كما طوى الملايين
قبله، وفي قصيدة " عطش الأرواح " يقول إيليا أبو ماضي :

جاءني بالماء أروي ظمأي *** صاحب لي من صاحبي الأوفياء

يا صديقي جنب الماء فمي *** عطش الأرواح لا يروى بماء

أنا لا أشتاق كاسات الطلا *** لا ولا أطلب مجدا أو ثراء

إنما شوقي إلى دنيا رضى *** وإلى عصر سلام وإخاء²

عالج الشاعر الواقع وقد كانت روحه عطشى، لكن ليس للعطش الذي نعرفه، والذي
يرويه الماء بل عطش روحه وتمنياته أن تعيش الأرض في سلام وأمن وإخاء، بعيد
عن الحروب، وبهذا نقل الشاعر صور حية عن الواقع المعاش، بحيث تجذب المتلقي
لما لها من تأثير عليه وتحدث في نفسه استجابة جمالية .

¹ -من أعمال إيليا أبو ماضي، " الخمائل " ، ص 562.

² -المرجع نفسه ، ص 537 .

5-النزوع إلى الموضوعية :

الموضوعية هي نوع من الإدراك والميل إلى التقدير العقلي البحث أكثر من التقدير الانفعالي، وهي « اتجاه ونزعة فنية، تقوم على وصف الحالات المدركة من قبل المبدع بشكل يتفق مع خصائص وجودها في العالم الواقعي، حيث يؤثر المبدع استخدام العقل والذهن في نقل هذه الحالات»¹؛وبذلك يطرح المبدع مواضيع إنسانية مختلفة ويحتكم في ذلك إلى الإدراك العقلي ويبتعد عن الذاتية .

والشاعر المهجري طرح العديد من المواضيع التي تنزع إلى الموضوعية، فقدم للمتلقي بعض المظاهر الإنسانية والتي ينشد من خلالها إلى تحقيق قيم إنسانية مثالية .

وشاعرنا إيليا أبو ماضي نقل إلينا أفكاره وآرائه لمختلف المظاهر الإنسانية والاجتماعية بكل موضوعية، ومن نماذج ذلك يقول في قصيدة " ليس السر في السنوات " :

قل للذي يحصي السنين مفاخرا *** يا صاح ليس السر في السنوات

لكنه في المرء كيف يعيشها *** في يقظة أم عميق سباتات

قم عدّ آلاف السنين على الحصى *** أتعد شبه فضيلة لحصاة

خير من الفلوات لا حد لها *** روض أغن يقاس بالخطوات

كن زهرة ، أو نعمة فـي زهرة ***فالمجد للأزهار والنغمات

تمشي الشهور على الورود ضحوة *** وتنام في الأشواك مكتنبات

¹ - محمد الأمين شيخة ، التشكيل الأسلوب في الشعر المهجري الحديث ، ص 471 .

وتموت ذي العقم قبل مماتها *** وتعيش تلك الدهر في ساعات

تحصى على أهل الحياة دقائق *** والدهر لا يحصى على الأموات

العمر -إلا بالمآثر - فارغ *** كالبيت مهجورا وكالمومات

جعل السنين مجيدة وجميلة *** ما في مطاويها من الحسنات¹

في هذه الأبيات تناول الشاعر موضوع الإنسان الذي يحصي سنوات عمره مفاخرا بذلك، بأن لا يفعل ذلك، بل يغتنم فرصة حياته ويعيشها في يقظة لأن العمر يمر فيجب أن يترك أثرا طيبا، وقد عالج الشاعر ذلك بكل حكمة وموضوعية، تجعل المتلقي يحاور عقله، ويدرك نفسه قبل فوات الأوان .

وفي إشارة من الشاعر إيليا إلى طريقة تعبد المرء، يقول في قصيدة " الرأي الصواب"

ليس التعبد أن تبيت على الطوى *** وتروح في خرق من الأثواب

لكنه إنقاذ نفس معذب *** من ربقة الآلام والأوصاب

ليس التعبد عزلة وتنسكا *** في الدير أو في القفر أو في الغاب

لكنه ضبط الهوى في عالم *** فيه الغواية جمّة الأسباب

وحبائل الشيطان في جنباته *** والمال فيه أعظم الأرباب

هذا هو الرأي الصواب وغيره *** مهما حلا للناس غير صواب².

طرق الشاعر في هذه الأبيات موضوع التعبد، ووضّح كيف يكون بأنه ليس مجرد طريقة خاصة في لبس الأثواب، أو العزلة والتّسكّ في أماكن خاصة، بل هو أكبر

¹-إيليا أبو ماضي ، الديوان ، ص 219

²- المرجع نفسه ، ص 157

من ذلك فهو إنقاذ نفس معذب من الآلام، وضبط الهوى في عالم كثرت فيه الإغراءات والحبائل الشيطانية، وأن هذا الرأي هو الصواب، وقد عبّر عن ذلك بموضوعية خالصة تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي .

وفي حديثه عن المال يقول إيليا في قصيدة "في قلبك الله " :

إنّي لأعجب منّا كيف تخذعنا *** عن الحقائق أمثال وأشباه

إذا بنى رجل قصرا وزخرفه *** سقنا إليه التهاني وامتدحناه

وما بنى قصره إلا ليحجب عن *** أبصارنا في زواياه خطايا

ونمدح المرء من خز ملابسه *** وذلك الخز لم تتسجبه كفاه

وإن أتانا أخو مال يكاثرنا *** بالتبرّ تيتها رجونا وخفناه

وقد يكون نضار في خزائنه *** دما سفكناه أو جهدا بذلناه

لا تحسب المجد ما عيناك أبصرتا *** أو ما ملكت هو السلطان والجاه

المال مولاك ما أمسكته طمعا *** فأنفقه في الخير تصبح أنت مولا

ما دام قلبك فيه رحمة لأخ *** عان ، فأنت أمرؤ في قلبك الله¹

عالج الشاعر المظاهر الخادعة، والطبقية بين أفراد المجتمع ومساوئها، داعيا إلى حسن استغلال المال، وإنفاقه في الخير، وقد عالجه بموضوعية محاولا بذلك إيقاظ أذهان المتلقين والدعوة إلى التصرف بحكمة وعقلانية .

¹—إيليا أبو ماضي، الديوان، ص 777

فالشاعر المهجري سعى إلى إثارة استجابة المتلقي وتبنيه للأحكام التي عرضها، والاحتكام في ذلك إلى العقل والمنطق ليحقق التواصل الجمالي المبني على الموضوعية الخالصة .

خاتمة

أردت في هذا البحث كشف أسرار الشعر المهجري وإبراز جمالياته من خلال شعر إيليا أبي ماضي وقد خلصت في الأخير إلى خاتمة تتضمن خلاصة ما توصلت إليه فكانت النتائج التالية :

-لقد كان للأدب المهجري الأثر الكبير في ازدهار الأدب العربي، لأنه قدم مساهمة لا تقدر في توجيهه نحو تيارات جديدة ، وأفاد الأدب العربي وضوح أثر وقوة تجديد.

-تميّز الشعر المهجري بمميزات وخصائص جعلته يتبوأ مكانة مرموقة في النهضة الحديثة، وقد نزع شعراؤه إلى التجديد والإبداع في مختلف المستويات، غير أنهم لم يكونوا بعيدين كل البعد عن الموروث العربي القديم .

-يُعدّ الشاعر (إيليا أبي ماضي)، شاعر المهجر الأكبر، وارتبط شعره بنفسيته ارتباطا وثيقا، فعبر عن مواقفه الإنسانية والاجتماعية والفكرية، وجاءت قصائده في كثير منها تصويرا للحياة بكل صراعاتها وتناقضاتها .

-للشعر المهجري عناصر جمالية، تحدّد قوته ودرجة الانجذاب إليه وانطباعه في الذاكرة ومدى تأثيره على المتلقي، فهو ظاهرة فنية غنية بالجماليات، وقد تجلّت جمالياته في شعر إيليا أبي ماضي بشكل بارز .

- من عناصر الجمالية المتجلية في شعر إيليا أبي ماضي، توافر مصادر الجمال اللغوية، فاللغة الشعرية مرآة صادقة لذوق الشاعر واحساسه، وكذا مصادر شخصية خاصة بالمبدع .

- يمتاز شعر إيليا أبي ماضي بعامل الجودة، فالسعي إلى التجديد على مستوى الصياغة التركيبية والمعجمية يدفع المتلقي إلى حب الاستطلاع لكل ما هو جديد، فيرتقي التواصل التعبيري والفكري بين المبدع والمتلقي .

خاتمة

- كما نجد عامل الغموض، فبالغموض ينشط ذهن المتلقي، فيعمل على تفكيك وتحليل التجربة اللغوية للشاعر، لاكتساب هذا المصدر الجمالي .

- وامثال الجزالة في تراكيبه، تعبّر عن أصالة الشاعر المهجري أبي ماضي، وتعمل على تقريب اللغة الرصينة للمتلقي، فسيتذكر بذلك المعجم اللغوي القديم، وهي مرتبطة بالبساطة، ممّا يسهل على المتلقي إدراك محتوى النص الشعري وتراكيبه اللغوية، فتتحقق الاستجابة الجمالية .

- من مصادر الجمالية الشخصية الخاصة بالمبدع توفر عاملي الذاتية والنقص، فالذاتية تعكس أنا الشاعر في علاقتها بالواقع، والنقص هو أن يشعر الشاعر بأنّه جزء من شخص آخر، فيتأثر به وينسج على منواله، كتأثر أبي ماضي بالشعراء القدامى، وبذلك يستحضر المتلقي الشعر العربي القديم، فيشعر بلذة جمالية .

- تؤثر مصادر الجمالية اللغوية لشعر إيليا أبي ماضي في المتلقي، فتخلق جمالية التلقي، وينتج عنها آثار مختلفة تتمثل في :

- تحقيق المتعة والمنفعة، فالمتعة الجمالية تبعث السرور في النفس، وتشبع إحساس المتلقي من خلال العمل الإبداعي، فيتطور الموقف الجمالي من المتعة إلى الحصول على المنفعة .

- أثر المثالية والشعورية، فالمثالية هي القيم الرفيعة التي تنزع إلى تحقيق مثل عليا، تؤثر في نفس المتلقي، والشعورية تتعلّق بالمشاعر والأحاسيس المختلفة التي يسوقها الشاعر المهجري إلى المتلقي، فيتعايش بدوره مع هذا الإحساس، ويحدث التدوق الجمالي .

- النزوع إلى الواقعية والموضوعية، فالواقعية تعبير عن الواقع والوسط الاجتماعي بحذافره، ممّا يولد الإحساس والانتعاش الجمالي لدى المتلقي، والموضوعية تهدف

خاتمة

إلى تحليل مواضيع إنسانية مختلفة، والاحتكام في ذلك إلى الإدراك العقلي والابتعاد عن الذاتية، فنقدم للمتلقي بكل موضوعية، وتسعى إلى تحقيق قيم مثالية بطريقة جمالية تستهوي المتلقي، فيتمثل لها .

كانت هذه أهم الابعاد الجمالية للشعر المهجري والمتجلية في شعر إيليا أبي ماضي. وفي الأخير أوجه الباحثين إلى أنّ الشعر المهجري عموماً، وشعر إيليا أبي ماضي خصوصاً لا يزال في حاجة إلى كثير من الدراسات تكشف أسرارهِ، وتستخرج درره وجواهره وجمالياته، وما هذه الدراسة إلى كشف يسير في عالم كبير.

-والله ولي التوفيق -

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، عمان : 2003، دار
الميسرة للنشر والتوزيع .

2- أحمد زكي أبو شادي، قضايا الشعر المعاصر، القاهرة: 2012 ، مؤسسة هنداوي
للتعليم .

3- أحمد عوين، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، تقديم سعيد حسين
منصور، ط1، الإسكندرية : 2001، دار الوفاء للطباعة والنشر.

4- المعجم الوجيز (الميسر) ، ط1 ، الكويت: 1993 ، دار الكتاب الحديث،
مادة (هجر) .

5- المعجم الوسيط ، ط4، 2004، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات
وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولي، مادة (هجر) .

6- النابغة الذبياني، الديوان، اعتنى به وشرحه : حمدو طماس، ط2 ، بيروت :
2005 ، دار المعرفة للنشر والتوزيع .

7- أمرو القيس، الديوان، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمان المصطاوي، ط2،
بيروت : 2004، دار المعرفة للنشر والتوزيع .

8- أميرة حلمي مطر، مدخل إلى عالم الجمال وفلسفة الفن، ط1، القاهرة : 2013
دار التنوير للطباعة والنشر .

9- أنس داود، رواد التجديد في الشعر العربي الحديث، ليبيا، المنشأة الشعبية للنشر
والتوزيع والإعلان .

- 10- إيليا أبو ماضي، الديوان، زهير ميزرا، دراسة عن إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، بيروت، دار العودة .
- 11- تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ط1، سورية : 1983، دار الحوار للنشر والتوزيع .
- 12- جان برتليمي، بحث في علم الجمال، ترجمة : أنور عبد الحميد، مراجعة : نظمي لوقاء، القاهرة : 1970 ، دار نهضة مصر .
- 13- حلمي بدير، الشعر المترجم وحركة التجديد في الشعر الحديث، ط2، القاهرة: 1991، دار المعارف القاهرة .
- 14- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، ط1، بيروت : 1986، دار الجيل .
- 15- خليل برهومي، إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال، ط1، بيروت: 1993، دار الكتب العلمية .
- 16- رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر " دراسة جمالية"، ط1، الإسكندرية : 2002، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر .
- 17- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، بيروت : 1985، دار الكتاب اللبناني .
- 18- سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة، ط2، بيروت : أكتوبر 2007، مركز دراسات الوحدة العربية .
- 19- سيد صديق عبد الفتاح، الجمال كما راه الفلاسفة والأدباء، ط1، القاهرة : 1994 دار الهدى، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع .

- 20- شاكِر عبد الحميد، التفضيل الجمالي " دراسة في سيكولوجية التذوق الفني"، الكويت : 1978، عالم المعرفة .
- 21- شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، ط6، مصر، دار المعارف.
- 22- صابر عبد الدايم، أدب المهجر " دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري " ، ط1، القاهرة : 1993، دار المعارف .
- 23- عبد الرؤوف أبو السعد، مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي، ط1، القاهرة ، دار المعارف .
- 24- عبد العزيز السبيل، أبو بكر باقادر، محمد الشوكاني، الأدب العربي الحديث، ط1، جدة : 2002، النادي الأدبي الثقافي .
- 25- عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، دمشق : 1999، منشورات اتحاد كتاب العرب .
- 26- عبد الناصر هلال، في جماليات شعر الحداثة، القاهرة : 2006، دار الحرم للتراث .
- 27- عبد الهادي عبد الله عطية، ملامح التجديد في موسيقى الشعر العربي الإسكندرية 2002 ، مكتبة بستان للطبع والنشر وتوزيع الكتب .
- 28- عزالدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)، القاهرة : 1992، دار الفكر العربي .
- 29- أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق : محي الدين عبد الحميد، ط5، 1981 ، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، الجزء الأول .

- 30- عمر الدسوقي، في الأدب العربي الحديث، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء الثاني .
- 31- عنتر بن شداد، الديوان، ط4 ، بيروت : 1983، مطبعة الآداب .
- 32- عيسى الناعوري، أدب المهجر، ط3، مصر: 1977، دار المعارف .
- 33- فضل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، عمان: 2006، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع .
- 34- كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، ط1، 2003 ، مكتبة الدار العربية للكتاب، الجزء الثاني .
- 35- محفوظ كحوال، المذاهب الأدبية (الكلاسيكية، الرومانتيكية، البزناسية) (الفن للفن) (الواقعية، الرمزية، الوجودية، السورالية)، 2007، دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع .
- 36- محمد أحمد ربيع، في تاريخ الأدب العربي الحديث، ط2، عمان : 2006، دار الفكر للنشر والتوزيع .
- 37- محمد الأمين شيخة، التشكيل الأسلوبي في الشعر المهجري الحديث، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث ونقده، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، 2008-2009 .
- 38- محمد تيمور، إتجاهات الأدب في السنين المائة الأخيرة، 1970، ملتزم للطباعة والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمامين .
- 39- محمد حسين الأعرجي، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، القاهرة، عصمي للنشر والتوزيع .

- 40- محمد زكي العشماوي، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، بيروت : 1980،
دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
- 41- محمد عبد المنعم خفاجي، حركات التجديد في الشعر الحديث، الإسكندرية:
2001.
- 42- محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ط1،
بيروت:1992، دار الجيل، الجزء الأول .
- 43- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروج من جواهر القاموس، تحقيق :
محمود محمد الطناجي، الكويت : 1993، التراث العربي وزارة الإعلام، الجزء
الثامن والعشرون .
- 44- محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية
الحديث وتراثنا النقدي " دراسة مقارنة "، ط1، مصر : 1996 ، دار الفكر العربي.
- 45- مصطفى عبده، المدخل إلى فلسفة الجمال " محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية "،
ط2، القاهرة : 1999 ، مكتبة مدبولي .
- 46- من أعمال الشاعر إيليا أبو ماضي، الجداول، الخمائل، تبرو تراب، بيروت
1988، دار كاتب وكتاب
- 47- ابن منظور لسان العرب، ط3، بيروت : 1999، دار إحياء التراث العربي،
الجزء السابع .
- 48- نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، ط1، القاهرة : 2003 ، الشركة
المصرية العالمية للنشر لونغمان ، دار نوبار للطباعة .
- 49- نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر
(الاتباعية، الرومانسية، الواقعية، الرمزية)، الجزائر: 1984، ديوان المطبوعات
الجامعية .

- 50- نظمي عبد البديع محمد، أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، القاهرة، دار الفكر العربي .
- 51- نعيمة مرّاد محمد، العصبية الأندلسية، هجرة الأدب العربي إلى البرازيل، الإسكندرية، منشأة المعارف .
- 52- هديل بسام زكارنة، المدخل في علم الجمال، الأردن : 1993، المعهد الدبلوماسي الأردني .
- 53- هربت ريد، طبيعة الشعر، ترجمة : عيسى علي العاكوب، مراجعة : عمر شيخ الشباب، دمشق : 1997، منشورات وزارة الثقافة .
- 54- هلال الجهاد، جماليات الشعر العربي (دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي) ط1 ، بيروت : 2007، مركز دراسات الوحدة العربية .
- 55- يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، ط1، عمان : 2008 دار مجدلاوي للنشر والتوزيع .

فهرس الموضوعات

مقدمة

الفصل الأول : الأدب المهجري وخصائصه

أولا : ظروف نشأة الأدب المهجري واتجاهاته

06 1. بواث الهجرة

12 2. نشأة أدب المهجر

16 3. اتجاهات أدب المهجر

23 4. العوامل المؤثرة في أدب المهجر

32 ثانيا : الشعر المهجري وخصائصه

32 1. الشعر المهجري

37 2. خصائص ومميزات الشعر المهجري

48 3. التجديد والتقليد بين الرابطتين

55 4. التجربة الشعرية عند إلبا ألبى ماضى

الفصل الثانى : تجليات الجمالية فى شعر إلبا ألبى ماضى

63 • ماهى الجمالية

69 أولا : مصادر الجمالية فى شعر إلبا ألبى ماضى

69 1. مصادر الجمال اللغوية

71 أ- الجدة

74 ب- الغموض

77 ج- الجزالة

82 2. المصادر الشخصية (المبدع)

82 أ- الذاتية

84	ب- التّقصص
86	ثانيا : آثار التلقي الجمالية في شعر إلبا ألبى ماضى
87	1- تحقيق المتعة والمنفعة
90	2- أثر المثالية
93	3- اثر الشعورية
97	4- النزوع الى الواقعية
99	5- النزوع الى الموضوعية
105	خاتمة
108	قائمة المصادر والمراجع